خمسون منظومةً شعريّةً:

الغزليّة ١ چه دانستم كه اين سودا مرا زين سان كند مجنون D 1855

البحر: U - - - U| - - - U| - - - U| - - - - (الهزج)

- كيفَ عرفتُ أنّ هذا الهوَس يجعلُني مجنونًا على هذا النّحو

ويجعلُ قلبي مِثْلَ جهنّم اضطرامًا، وعينيَّ مثلَ جيحون سكبًا للدّمع؟

- كيفَ عرفتُ أنّ سيلًا يختطفني على حين غِرّةٍ

ويُلقي بي مثْلَ سفينةٍ في وسط بَحْرٍ مليء بالدّم

- فيضربُ موجٌ تلك السّفينةَ فيمزّقها لوحًا لوحًا

ويندفُع كلّ لوحٍ إلى الأسفل بسبب الدّورانات المختلفة

- ويرفع تمساحٌ رأسَه ويشرب ماءَ البحر هذا،

فيغدو هذا البحرُ الذي لا نهاية لامتداده يَبَسًا كالصحراء

- وتشقُّ أيضًا تلك الصحراءُ التمساحَ المجفِّفَ لماء البحر

فينجذب إلى القَعْر على حين غِرّة بيد القهر مثل قارون

- وعندما حصلتْ هذه التّحوّلاتُ ولم يبقَ صحراءُ ولا بحرٌ

كيف أعلمُ كيف حدث ذلك وقد غَرِق «كيف» في «اللا كيف»

- إنّ الكيفيّات التي بها أعرفُ كثيرةٌ، لكنّني لا أعرف،

إذ ابتلعتُ زَبَدَ الأفيون من أجل إغلاق فمي في ذلك البحر

تعليقات:

[٣٣٦] قارونُ، الذي يتطابق أحيانًا مع كرويسوس اليونانيّ Greek Croesus أو كُورا في التّوراة، هو في القرآن رجلٌ جعلَه غِناهُ المفرط مغرورًا ومتكبّرًا.

وقد رفض أن يُصغي إلى التحذيرات من أنّ غناه المادّيّ لن ينفعه في الآخرة، وقد ابتلعته الأرضُ في خاتمة الأمر (K 28: 76-81). تحطُّمُ ألواحِ السّفينة يشير إلى قصّة موسى والخضر، مثلما فُصِّلت في القسم الذي يحمل العنوان: «الصوفيّة السُّيّاح» في مقدّمة هذا الكتاب. ولأنّ سلطان وَلَد يشبّه علاقةَ شمسٍ بالرّوميّ بعلاقة الخضر وموسى، في مقدورنا أن نستنتج أنّ هذه الغزليّة تصف معاناةَ الرّوميّ بعد اختفاء شمس. «اللّاكيفُ» لقبٌ للحقّ [سبحانه]. والحقُّ تعالى لا يمكن أن يُطلب منه (لأنّنا لا نستطيع أن نفهم) ولا ينبغي أن يُطْلَب منه (لأنّ ذلك مجافٍ للّياقة والأدب) أن يبيّن منطقَ أفعاله.والأفيونُ يعني [في الإنكليزيّة] opium (من الكلمة اليونانيّة opion)، لكنّه كان يُستعمل أحيانًا تِرْياقًا في الرسائل الطّبّيّة في القرون الوسطى الإسلاميّة. كان يُستعمل تِرْياقًا للتسمّم والماليخوليا، وربما أيضًا للغرق (انظر تعليقات نفيسي، Sep 329-33).فبين التأثير المخدِّر للعَقّار واندفاع الماء في فيه، يقع الشاعرُ صامتًا.

الغَزَليّةُ ٢ اي رستخيزِ ناگهان وي رحمتِ بي منتها **D1**

الوزن ـ ـ U ـ|ـ ـ U ـ | ـ ـ U ـ|ـ ـ U ـ (الرّجَز)

يا يومَ القيامةِ المفاجئ، ويا رحمةً لا منتهى لها

يا ناراً مضطرمةً في أَجَمَةِ الفِكَر

اليومَ جئتَ ضاحكًا، جئتَ مفتاحًا للسّجن

جئتَ إلى الشّاكين، مثل عطاء الله وفضله

أنتَ حاجبٌ للشّمس، وشَرْطٌ للرّجاء

أنتَ المطلوبُ، أنتَ الطالبُ، أنت المنتهى والمبتدا

نهضتَ في الصُّدور، زيّنتَ الفِكْرَ

أثرتَ الرّغائبَ، ثمّ أذِنتَ بتحقيقها

[٣٣٧] يا أيّها المانِحُ الرّوحَ وليس له بدَل، يا لذّةَ العِلْم والعمل

الباقي كلُّه ذريعةٌ ودَغَلٌ (*)، هذا عِلّةٌ وذاك دواء

ومن هذا الدَّغَلِ صِرْنا حُولًا، أو حاقدين على مَنْ لا ذنبَ له

تَمِلينَ بالحُورِ العِينِ حينًا، وبالخبز والحِساء حينًا آخر

انظرْ إلى هذا السُّكْر، واتركِ العقلَ، وانظر إلى هذا النَّقْل (**) واتركِ النَّقْل،

فإنّه من أجل قليلٍ من الخُبز والبَقْل، لا يليق كثيرٌ من الشّجار والجَدَل

تُلقي تدبيرًا له مئةُ لون، تُلقيه على الرّوم والحبش

وتُلقي فيما بينهما الحَرْبَ، في اصطناعٍ لا يُرى

افركْ أذنَ الرّوح في خفاء، وتجنّب الآخرين بالاعتذار

الرّوحُ يصرخ: «ربِّ خلّصني» واللهِ إنّ هذا الغوّ أيّها الملك

فالصّمتَ، لأنّني مستعجلٌ جدًّا، وذهبتُ نحو أسفل العلَم

ضَعِ الورقَ، واكسر القلَمَ، فقد دخل السّاقي قائلًا هيّا

تعليقات:

هذه هي الغزليّةُ الأولى في ديوان الرّوميّ في ترتيبه الحاليّ، وهكذا يبدأ بكلمة «القيامة» في البيت الأوّل . ويشير تعبيرُ «الحُور العِين» إلى الحِسان

---

* ـ الدَّغَلُ: دَخَلٌ في الأمر مُفْسِدٌ، أي احتيالٌ وغِشٌّ ومخادعة [المترجم].

** ـ النَّقْلُ: ما يُتنقّل به على الشّراب، وقد يُضمّ أوّلُه أو الضمُّ خطأ [المترجم عن المحيط] ـ أما «النَّقْل» الثانية فتعني الروايات والمجادلات [المترجم].

المشهورات في الجنّة اللّائي يذكرهنّ يذكرها القرآن، اللّائي سيؤنسنَ المؤمنين (K 44: 54, 52:20, 56: 22). الصّفةُ اليوميّة التي يصوّرها الحِساء والخبز في هذه الغزليّة، والطّريقةُ السّاخرة في تصوير الشاعر نفسَه يتلقّى التقريع بفَرْك أذن روحه، تجعلانِ الغزليّةَ تبدو منظومةً في مناسبةٍ معيّنة ـ يبدو الأمرُ تقريبًا كأنّ شمسًا جاء على نحوٍ مفاجئ عندما كان الشاعرُ وأصحابه حول مائدة الطعام. [٣٣٨] ولأنّ شمسًا هو السّاقي هنا، كان يمثِّل مصدرَ السُّكر ورفْضَ الصِّيغ العقلانيّة للخطاب.

الغزليّة ٣ آن شكل بين وآن شيوه بين، آن قدّ وخدّ ودست وپا **D5**

الوزن: ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ (الرَّجَز)

ـ انظرْ إلى ذلك الوجه، وانظرْ إلى ذلك الدّلال، ذلك القَدّ والخدّ واليد والقدَم

انظر إلى ذلك اللّطف، وانظر إلى ذلك الذّكاء، وانظر إلى ذلك البدر الذي يرتدي قَباء

ـ أأ تحدّثُ عن السَّرْو أم عن المرْج، أأتحدّث عن الشّقيق أم عن الياسمين

أأتحدّثُ عن الشّمع أم عن وعاء الشّمع،أم عن رَقْص الوَرْد أمام الصَّبا

ـ أيُها العشقُ المتأجِّجُ كبيتِ النّار، جئتَ في شكلٍ وصورة

وأغرت على قافلة القلب، فأعطِ لحظةَ أمانٍ يافتى

ـ في ناري وفي حُرَقي، أُمضي اللّيلَ حتّى الفجر،

كم أنا سعيدٌ منتصرٌ من وجه ذلك الذي هو «شمس الضُّحى»

ـ أدورُ حولَ قمره، وأسلّمُ عليه من دون شفة،

وأُلقي بنفسي على الأرض، من قبْلِ أن يقول: «هيّا، أَقبِلوا»

ـ أنتَ روضةُ العالَمِ وبُستانه، أنتَ عينُ العالَمِ وسِراجُه،

أنتَ أيضًا وجَعُ العالَمِ وجُرحُه، عندما تضع قَدَمَكَ في الجفاء

ـ آتي لِأَرهنَ روحي، فتقول: «لا تضايقْني، امضِ»

أخدمُ إلى أن أعود، فتقول: «تعالَ، يا أبلهُ»

ـ [٣٣٩] صار خيالُه جليسًا للعشّاق المحترقين

فلا غابتْ صورتُك لحظةً من أمام أعيننا

ـ أيُّها القلبُ، ماذا حدثَ لقَرارك؟ ـ ماذا حدثَ لمشاغلك؟

من يقطعُ نومَك هكذا في الصّباح وفي المساء؟

ـ قال القلبُ: «حُسْنُ وجهه، ونرجسُ عينيه السّاحر،

وسُنبُلُ حاجبه، وياقوتُ شفتيه الحلو»

ـ أيّها العشقُ، إنّ لكَ أسماءً وألقابًا كثيرة عند كلّ فَرْدٍ من الناس،

وأنا اللّيلةَ الماضية سمّيتُك باسم آخر: «داءٌ لا دواءَ له»

ـ يا مَنْ رونقُ روحي منكَ، أدور كالأفلاك منك،

فأرسِلْ قمحًا، أيّها الرّوح، لكي لا تدور الطّاحونةُ من دون سبب

ـ لن أتكلّم بعدَ ذلك، فقُلْ هذا البيتَ واكتفِ به:

«ذابَ روحي من هذا الهَوَس، ارفُقْ بِنا، يا ربَّنا»

تعليقات:

Agiary (بيتُ النّار) هي الكلمةُ التي يستعملها الزّردشتيّون المتحدّثون بالإنكليزية اسمًا لمعبد النار (بالفارسيّة: آتشكده). الزّردشتيون لا يعبدون النّار، بل يبجّلونها بوصفها رمزًا للقوّة الخيّرة في الكَوْن. ولأنّ الأمر كذلك،

يقدِّم الرّوميُّ هنا إشارةً معقّدة إلى المعشوق الإلهيّ المتّخِذ صورةً بشريّة، وهي صورةٌ تغدو بؤرةَ عبادة أهل الإيمان. جمالُ هذا الفتى الرّبّانيّ يستبدّ بالناظر ويختطف قلبَه، مثلما أنّ قاطعَ طريقٍ يمكن أن يهجم ويسلب قافلةً تحمل بضاعةً من مدينة إلى أخرى. قائلُ هذا الشّعر يناشدُ هذا المظهرَ الرّاحةَ والأمانَ.

«الفتى» تعني شابًّا (وربّما حتّى عضوًا في تنظيمات الفُتوّة) وتوحي بشابّ محارب، فارس، برغم أنّه متمسِّكٌ بآداب الفروسيّة، لديه القدرةُ على السَّلْب. و«شمسُ الضحى» تشير طبعًا إلى اسم شمس تَبْريز وإلى آية في القرآن. هيّا [الصّلا، أو صلا ـ بالفارسيّة] هي عادةً دعوةٌ إلى البَدْء بتناول الطعام. عينا المعشوق [٣٤٠] تشبَّهان بالنّرجس، وشفتاه بالياقوت؛ والحاجبُ، لأنّه معقوصٌ ومعطّر، بالسُّنبُل. والإشارةُ إلى دوران الطّاحونة توحي بأنّ الغزليّة أُعِدّت للسّماع.

الغزليّة ٤ يار مرا، غار مرا، عشق جگرخوار مرا D37

الوزن ـ U U ـ|ـ U U ـ|ـ U U ـ|ـ U U ـ (السّريع)

ـ لِيَ صاحبٌ، لِيَ غارٌ، لِيَ عشقٌ آكِلٌ للكبد،

أنتَ الصّاحبُ، أنت الغارُ، أيّها السيِّد، احمِني

أنتَ نوحٌ، أنتَ روحٌ، أنتَ الفاتحُ والمفتوح

أنتَ صدْرٌ مشروحٌ، لي عند باب الأسرار

أنتَ نورٌ، أنتَ مائدةُ ضيافة، أنتَ حظٌّ منصور

أنتَ طائرُ جبلِ الطّور، وقد جرحتَني بمنقارك

أنتَ قطرةٌ، أنتَ بحرٌ، أنتَ لُطفٌ، أنتَ قهرٌ

أنتَ سُكَّر، أنتَ سُمّ، لا تُؤذِني أكثر

أنتَ حجرةُ الشمس، أنتَ منزلُ الزُّهَرة

أنتَ روضةُ الأمَلِ، ائذنْ لي بالدخول، أيّها الحبيب

أنتَ النّهارُ، أنت الصّيام، أنتَ محصولُ الشّحّاذ

أنتَ ماء، أنتَ إبريق، اسقِني هذه المرّة

أنتَ حَبّةٌ، أنتَ فَخٌّ، أنتَ خمرةٌ، أنتَ كأس

[٣٤١] أنتَ ناضج، أنتَ نيءٌ، لا تتركْني من دون إنضاج

لو توقّف هذا الجسدُ عن الدّوران، لما قطَعَ الطّريقَ على قلبي

رحلتَ، لكي لا يكون لي هذا القولُ كلّه

تعليقات:

قصّةُ الصّاحب في الغار مصدرُها القرآن، وتشير إلى هجرة محمّد [عليه الصلاةُ والسلام] من مكّة مع أبي بكر، صاحبه الأوحد. ولأنّ أهلَ مكّة كانوا يتعقّبونهما ويقصدون إلى الفتك بهما، تواريا عن الأنظار داخلَ غار. ويُقال إنّ عنكبوتًا نسج بيتًا له فوق فتحة الغار، موهمًا أنّه لم يدخل أحدٌ الغارَ منذ وقت. تعبير الصَّدْر المشروح، المستمدّ من الآية ١ من سورة الشّرح، يشير لأوّل وهلة إلى الوحْي الذي أنزله الحقّ [تعالى] عندما كان محمّد في ظروف صعبة، لكي يُطمئنه ويجعل صدره يتّسع، أو يمتلئ بالسرور. ومهما يكن، فإنّ كتبَ السّيرة تحتوي على قصّةٍ في شأن شقّ صَدْر النّبيّ محمّد من جانب مَلَك، وإخراج قلبه، وغَسْلِه وإعادته. ومن البيت الأخير نستطيع أن نستنتج أنّ الشّاعر نَظَم هذه الغزليّة لكي تُنشَد أثناء الدّوران في السّماع. والظّاهرُ أنّها تعود تاريخيًّا إلى فترة غياب شمس المؤقّت أو رحيله الدّائم.

الغزليّة ٥ أي سخت گرفته جادوى را D 116

الوزن: ـ ـ U | U ـ U ـ | U ـ ـ (هزَج أخرب مقبوض)

يـــا مَـــنْ امتلكْـــتَ ناصـــيةَ الـــسِّحْر وجعلـــتَ الأســـدَ غـــزالًا
من سِحْرِك صارت العينُ تـرى الـشيء شـيئَيْن ووضعتَ في العَـيْنِ نظـرَيْن
أظهـــرتَ مـــن الـــتُّرُنج برقوقًـــا متى صـار الـتُّرُنجُ برقوقًـا؟
جعَـــلَ سِـــحْرُك الحمـــلَ ذئبًـــا وأظهـر مـن القمـح شعيرا
جعـــل سِـــحْرُك طومـــارَ الخيـــال المنطـــوي منـــشورًا للبقـــاءِ والخلـــود
[٣٤٢] ومن سِحْرِكَ صارت لحيةُ الجاهلِ الغـويّ ممتلئـــةً بـــريح الهدايـــة
جعلَنـــي سِـــحْرُكَ سوفـــسطائيًّا يا مَنْ جعلْتَ الهنديَّ تركيّـا
وفي احتـدام المعركـة جعلـتَ الفِيَلـةَ القويّـة تبـــدو مِثْـــلَ البعوضـــة
دَعِ التقـــديرَ والقـــضاء يحتربـــان لكي يظهر أنّ أحـدَهما حـقّ
لا تكـــنْ سوفـــسطائيًّا، اصـــمُتْ أطلـــقْ لـــسانَ المعنـــى

تعليقات:

الغاراتُ التي فتحت الهندَ باسم الحكّام المسلمين نفّذها في الأعمّ الأغلب أسرةُ سلاطين الغزنويّين الأتراك. وقد اكتسب التُّرْكُ سمعةً طيّبةً لكونهم محاربين شجعانًا، في البدء عندما كانوا غِلْمانًا [عبيدًا] إذ ألّفوا بما لديهم من قدرة حرَس الخليفة؛ وفيما بعد عندما كانوا الحكّامَ لشرقيّ إيران، في زمان الغزنويّين والسّلاجقة. وكثيرًا ما يشبَّه المعشوقُ بأميرٍ محاربٍ تركيّ شابّ يقتلُ عشّاقَه يَمنةً ويَسْرةً ثمّ يتركهم بسِحْره المتغطرس. ومن وجهةٍ أخرى، يُعَدُّ السِّحْرُ عمومًا عملًا من أعمال الكهّان والوثنيين وغير المسلمين. «اللسانُ

المعنويّ» في البيت الأخير يشير إلى المعنى الباطنيّ العميق الصحيح، في مقابل الفهم السطحيّ. الكلمةُ المقابلة للكلمة الإنكليزيّة Meaning هي «معنويّ»، التي يمكن أيضًا أن تشير إلى «مثنويّ الرّوميّ» - أي مزدوجات المعنى الحقيقيّ. القضاءُ والتقديرُ مصطلحان يُظهران مشكلةً محيِّرة في الإسلام، وهي مشكلةٌ عالجها المثنويّ (انظر الفصل ٩، فيما بعد).

الغزليّة ٦ دل چو دانه ما مثال آسيا D 181

الوزن: ـ U ـ ـ |ـ U ـ ـ |ـ U ـ (الرّمَل)

القلبُ كالحَبّ، ونحن كالطّاحونة فمتى تعلمُ الطاحونةُ سببَ هذا الدّوران

الجسمُ كالحجر وماؤه الفِكر يقول الحجرُ: «الماءُ يعلم ما جرى»

[٣٤٣] يقول الماء: «اسألِ الطحّانَ فإنّه هو الذي وضعَ هذا الماءَ في المجرى»

فيقول لك الطحّانُ: «أيْ آكلَ الخُبز، إن لم يَدْرِ هذا فمن يكونُ الخبّازُ؟»

إنّ ما جرى سيكونَ كثيرًا، فاصمتْ واسأل المولى [تعالى] لكي يخبرك

تعليقات:

ليس مستغربًا أنّ الأفلاكيّ (Af 370-1) يجعل نَظْمَ هذه الغزليّة في طاحونة. وسواءٌ أصحّ هذا أم لم يصحَّ، ينبغي أن تشير مجازاتُ الدّوران إلى عملية الدّوران في السّماع. وقد حاولتُ أن أحوّل هذه الغزليّة إلى الترتيب الوزنيّ للأبيات ذوات المقاطع الأربعة.

الغزليّة ٧ گفتا كه: «كيست بر در؟» گفتم: «كمين غُلامت D 436

الوزن: ـ ـ U ـ U | ـ ـ U ـ| ـ ـ U ـ |U ـ ـ U ـ ـ (المضارع)

قال: «مَنْ بالباب؟» - قلتُ: «عبدُك الوضيع»

قال: «فأيُّ شأنٍ لك؟» ـ قلتُ: «أُقرِئُكَ السّلامَ، أيّها العظيم»

قال: «فإلى متى تُلاحقُني؟» ـ قلتُ: «حتّى تدعوني»

قال: «فإلى متى تجيش؟» ـ قلتُ: «حتى القيامة»

أقمتُ دعوى العِشْق، وحلفتُ على ذلك الأيمانَ

إنّي بسبب العِشْق أضعتُ المُلْكَ والشهامة

قال: «مِنْ أجل الدّعوى يطلبُ القاضي شاهدًا»

قلتُ: «إنّ شاهدي هو دمعي، ودليلي هو شحوبُ وجهي»

قال: «إنّ الشّاهدَ مجروح، فعيناكَ مذنبتان»

قلتُ: «بعظمةِ عَدْلِك، إنّهما من العُدول ولا غرامةَ عليهما»

[٣٤٤] قال: «فمَنْ كان رفيقُك؟» ـ قلتُ: «خيالُك، أيّها الملِك»

قال: « فماذا دعاكَ إلى هنا؟» ـ قلتُ: «أريجُ كأسِك»

قال: «فعلى أيّ شيءٍ تعزم؟» ـ قلتُ: «على الوفاء والمحبّة»

قال: «فماذا تريدُ منّي؟» ـ قلتُ: «لطفك الشامل».

قال: «فأيُّ مكانٍ أفضل؟» ـ قلتُ:«قصْرُ قيصر»

قال:«فماذا رأيتَ هناك؟» ـ قلتُ:«مئة كرامة»

قال: «فلماذا هو خالٍ؟» ـ قلتُ:«خشيةَ قاطع الطريق»

قال: «فمَنْ قاطعُ الطريق؟» ـ قلتُ:« إنّه الملامة»

قال: «فأينَ الأمانُ؟» ـ قلتُ: « في الزّهدِ والتقوى»

قال: «فما الزّهدُ؟ ـ قلتُ: «إنّه طريقُ السّلامة»

قال: «فأين الآفة؟» ـ قلتُ: «في طريق عشقِك».

قال: «فكيف أنتَ هناك؟» ـ قلتُ: في استقامة

فكثيرًا ما جرّبتُك، لكنّني لم أنتفع بذلك

مَنْ جرّبَ المجرَّب حلّت به الندامة

فصمتًا، فإنّي لو ذكرتُ لك غوامضَ أقواله

لَهِمتَ على وجهك لا يوقفُك بابٌ ولا سقف

تعليقات:

في شأن قوله: «أريجُ كأسك» (بوي جامت ـ بالفارسيّة)، يجعل فروزانفر مكانَ «جامت» الواردة هنا «جانت»، الأمرُ الذي يُخِلّ بالقافية قليلًا. ويرويها آربري هكذا: «جامت» (MPR 1: 178)، وهي القراءةُ التي اعتمدتُها هنا؛ لأنّ بلاطات الملوك مرتبطةٌ بمآدب الشّراب والكؤوس المطليّة بالجواهر وحقّ السِّحرية. ومهما يكن، فإنّ الرّوميّ لم يكن فوق هذه الرُّخَص وفي نواحٍ كثيرة يبدو «بوى جانت» (أي أريج روحك) أكثرَ قوّةً. وتروي الغزليّة لقاءً رمزيًّا أو صورةَ مَنام، يقطعها الشاعرُ بعدئذٍ في البيت الأخير (إذ يقول لنفسه: اصمتْ)، خشيةَ أنّ حقيقةَ ما قد رآه تكون أكبر من أن تُسمَع.

الغزليّة ٨ ـ هر نَفَس آوازِ عشق مى رسد از چب وراست **D463**

[٣٤٥] الوزن: ـ U U ـ ا ـ U ـ U ا ـ U U ا ـ U U ـ

في كلّ نَفَسٍ يأتي صوتُ العِشْقِ من اليسار واليمين

نمضي إلى الفَلَك، فمَنْ لديه العَزْمُ على التمتّع بالمشاهد؟

فقد كنّا في الفَلَك، كنّا أصحابًا للمَلَك

ونرجعُ إلى المكان نفسِه جميعًا، فتلك هي مدينتُنا
نحنُ أسمى من الفلَك، وأعظمُ من الملَك
فلماذا لا نتجاوزُ الاثنين، ومنزلُنا هو الكبرياء؟
إنّ الجوهرَ الصّافي لا ينتمي إلى عالَمِ التّراب
فلماذا هبطتُم؟ ـ احملوا أمتعتكم، أيُّ مكانٍ هذا؟
الحظُّ الشّابُّ حبيبُنا، وتقديمُ الأرواح عملُنا
وأميرُ رَكْبِنا فخرُ الدّنيا المصطفى
مِنْ أَلَقِه انشقّ القمر، ليس في وسعه أن يُطيق النّظرَ إليه
وقد نال القمرُ حظًّا عريضًا، لأنّه شحّاذٌ صغير يستجدي منه النور
الرّائحةُ الطّيّبة لهذا النّسيم من تثنّي ضفيرته
وشَعْشعةُ هذه الصّورة من ذلك الجبين الشبيه بـ «والضّحى»
فانظرْ في قلبي كلَّ لحظةٍ انشقاقَ القمر
فلماذا تنصرفُ عينُك عن النظر إلى مِثْل هذا المشهد؟
[٣٤٦] الخَلْقُ مِثْلُ طيور الماء، مولودونَ في بحر الرّوح
فكيف يقيمُ هنا طائرٌ طلَعَ من ذلك البحر؟
نحنُ دُرَرٌ في البحر، كلُّنا موجودون فيه
وإلّا فلماذا يتتابعُ الموجُ من بَحْر القَلْب؟
جاء موجُ «ألستُ»، فركّبَ سفينةَ القالب [الجسد]
ومرّةً أخرى عندما تحطّمت السّفينة [الجسد] حان وقتُ الوَصْلِ واللقاء

تعليقات:

تبدو هذه الغزليّةُ تذكّر بالعروج اللّيلي لمحمّد [عليه الصّلاة والسّلام] إلى السّماء (المِعْراج) أو بميلاده. إحدى المعجزات المرويّة عن محمّد أنّه شقّ القمرَ نصفَين. «المصطفى» نعتٌ لمحمّد. في شأن «والضّحى» انظر التعليق على الغزليّة ٣. «ألستُ بربّكم؟» هو السّؤالُ الذي يعرضُه الحقّ تعالى على بني آدم في العهد الأزَليّ الذي قطعَه الإنسانُ لحضرة الحقّ، الذي أجاب فيه كلُّ إنسان مندفعًا بالإيجاب [كان الجواب: «بَلى»]. الحكايةُ التي يرويها الأفلاكيُّ في شأن هذه الغزليّة (Af 266-8)، حول طَلَبِ سعديّ الشّيرازيّ من الرّوميّ غزليّةً جديدةً وإرسالها إلى الحاكم، مشكوكٌ في صحّتها تمامًا. وليس ثمّة إشارةٌ إلى أنّ سَعْديًّا، المعاصرَ للرّوميّ، لديه أيُّ اطّلاعٍ على غزليّات الرّوميّ. وقد أنشد أولو عارف چلبي هذه الغزليّةَ لمريديه في قُونِية في الجمعة الأخيرة من ذي القِعْدة من عام ٧١٩هـ/ كانون الثاني ١٣٢٠م لكي يهيّئهم لقبول وفاته، التي حدثت بعد شهرٍ تقريبًا.

الغزليّة ٩ نوبتِ وصْل ولقاست، نوبتِ حَشْر وبقاست D 464

الوزن: ـ U U ـ |ـ U ـ |ـ U U ـ |ـ U ـ (المنسرح)

هذه نوبةُ الوَصْلِ واللقاء، هذه نوبةُ الحَشْرِ والبقاء

هذه نوبةُ اللّطفِ والعطاء، هذا بحرُ الصّفاء في الصّفاء

ظهَرَ دُرْجُ العطاء، وصلتْ غُرّة البحر [٣٤٧]

تنفّسَ صُبحُ السّعادة، وما الصّبحُ؟، إنّه نورُ الحقّ

مَنِ الصّورةُ والتصوير؟ ـ مَنِ المَلِكُ والأميرُ؟

هذا الحكيمُ الشّيخُ مَنْ هو؟ ـ هذه جميعًا حُجُب

علاجُ الحُجُبِ مِثْلُ هذه الجيشانات

وعَيْنُ هذه المذاقاتِ في رأسِكَ وعينِك

ملفوفةٌ في رأسِكَ، لكنّ لكَ رأسَيْن:

هذا الرّأسُ التّرابيُّ من الأرض، وذاك الرّأسُ الطّاهرُ من السماء

وما أكثرَ الرّؤوسَ المبعثرةَ في باطن التّراب

لكي تعلمَ أنّ رأسًا من تلك الرّؤوس الأخرى في الأسفل

ذلك الرّأسُ الأصليُّ محتجبٌ، وذلك الرأسُ الفَرْعيّ مُعايَنٌ مشاهَد

فاعلَمْ أنّ وراءَ هذا العالَمَ عالمًا لا نهايةَ له

فشُدَّ وثاقَ الزِّقِّ أيّها السّاقي، فإنّ الخمرَ لا تحملُنا إلى هناك،

وكوزُ الإدراكاتِ ضيّقٌ في هذا الجسد الإنسانيّ

ومن ناحية تَبريز أضاء شمسُ الحقّ فقلتُ له:

«إنّ نورَكَ متصلٌ بالجميع ومنفصلٌ أيضًا»

الغزليّة ١٠ بار دگر ذرّه وار، رقص كُنان آمديم **D1720**

الوزن: ـ U U ـ ا ـ U ـ (U)ـ ا ـ U U ـ ا ـ ا ـ U ـ (المنسرح)

مرّةً أخرى مثلَ الذّرّات في الهواء جئنا نرقص

مِنْ ناحية فَلَكِ العشق، جئنا ندور

وفي ميدان العِشْق، صِرْنا مِثْلَ كرةٍ

حينًا انطلقْنا نحو جانب الميدان، وحينًا جئنا إلى الوسَط

العشقُ يضطرُّ الإنسانَ إلى الحاجة، فإن كنتَ كذلك فإنّه لائق بك

ولأنّنا أتينا من تلك الناحية توًّا، ألم نأتِ كذلك؟

أنتَ سيّدُ المجلس، وأهلُ المجلسِ حاضرون

فَأْتِ بالماءِ الشّبيه بالنّار، فإنّنا لم نأتِ من أجل الخُبز

ولأنّك تجري في عروقنا، وقد جعلتْنا جراحُنا بسببك بؤساءَ،

فالشكرُ لِلّه أنّنا نجيء سريعًا إلى الحياة

يا شمسَ الحقّ، إنّ عِشقَك هذا متعطِّشٌ إلى دَمي

[٣٤٨] وقد جئتُ والسّيفُ والكفنُ تحتَ إبطي من أجل ذلك

لا يُبطِلُ ثورةَ تَبْريز إلّا مِلْحُك

يا فخرَ الأرض، في عِشْقِك جئنا بثورة الزمان

الغزليّة ١١ روسر بنه به بالين، تنها مرا رها كنْ **D 2039**

الوزن: ـ ـ U ـ| U ـ ـ |ـ ـ U ـ| U ـ ـ (المضارع)

اذهبْ، ضَعْ رأسَك على وسادتِك، اتركْني وحيدًا

اتركْني خَرِبًا سَهِرًا الليلَ مُبتلًى كما أنا

أنا وموجُ الأسى، طولَ اللّيلِ حتّى الصّباح، وحيدًا

وإنْ شئتَ فتعالَ وارْحم، وإن شئتَ فاذهَبْ واجفُ

فِرَّ منّي، لكي لا تقعَ في البلاء أيضًا

آثِرْ طريقَ السّلامة، اتركْ طريقَ البلاء

أنا وماءُ عينيّ انزوينا في زاوية الغمّ

فأدِرِ الطّاحونةَ مئةَ مرّة بماء عينيّ

إنّ لي معشوقًا مستبدًّا، له قلبٌ قاسٍ كالحجر

يقتلُ ولا يقولُ له أحدٌ: «دبِّر الدّية»

ليس على مليكِ الحِسانِ واجبُ الوفاء

فيا أيّها العاشقُ الشاحِبُ الوجه، اصبِرْ، كنْ وفيًّا

إنّه داءٌ لا دواءَ له إلّا الموت

فكيف أقولُ داوِ هذا الدّاء؟

اللّيلةَ الماضية، رأيتُ في المنام شيخًا في محلّة العِشق

أشار إليّ بيده قائلًا: «تعالَ إليّ»

فإن كان في الطّريق تِنّينٌ، فإنّ العِشقَ مِثْلُ الزُّمُرّد

وببَرْق هذا الزُّمُرّد اطردِ التّنّين

فاكتفِ، لأنّني ذاهِلٌ، وإن كنتَ ذا براعاتٍ إضافيّة

فاقرأ تاريخَ أبي عليّ، ونبِّهْ أبا العلاء

تعليقات:

يروي الأفلاكيّ (Af 589-90) أنّ الرّوميّ، الذي ظلّ يُسجِّع ويوقّع الشّعر حتّى آخر حياته، نظَمَ هذه الغزليّةَ وهو على فراش الموت. أمّا سلطانُ وَلَد، المهتاجُ اهتياجًا شديدًا، فلم يكن يبارحُه، لكنّه كان محتاجًا جدًّا إلى الرّاحة، وهكذا أكّد له الرّوميّ أنّه شعَرَ بالتحسّن وشجّع سلطانَ وَلَد على الانصراف والاستراحة. بعدئذٍ أخذَ ينظم هذه الغزليّةَ، التي دوّنها حسامُ الدّين چلبي. وينطوي هذا على كلّ مؤشّراتِ قِصّةٍ أُعِدّت لتناسبَ الغزليّة. والمرجَّحُ كثيرًا أنّ الغزليّةَ تعودُ تاريخيًّا إلى مرحلة أسى الرّوميّ المتأجّج إثر الاختفاء النهائيّ لشمس، برغم أنّنا رأينا قبْلُ أثرًا ضئيلًا من الرّاحة في عيني شيخٍ متقدِّم في

السّنّ. وفي الثقافة الشعبيّة القديمة، [٣٤٩] كان يُعتقد أنّ الزُّمرّدة تطرد التّنانين لأنّ ألَقَها الأخضر كان يُعميها أو يوهمها أنّها ترى تِنّينًا آخر. ويُتَّخذ «أبو عليّ» إشارةً إلى أبي عليّ بن سينا، الذي يمثّل نمطَ الفيلسوف الحكيم، أمّا «أبو العلاء» فيُتّخذ إشارةً إلى أبي العلاء المعرّيّ، وهو فيلسوف مادّيّ. وكلاهما يمثِّل حدود الخطاب العقلانيّ عند الرّوميّ.

الغزليّة ١٢ ز اوّل بامداد سرمستى D 3153

الوزن: UU ـ ـ | U ـ U ـ | ـ ـ (الخفيف)

منذ أوّل الصّباح أنتَ ثمِلٌ وإلّا فلماذا عقدتَ العمامةَ معوجّةً

واللهِ، إنك اللّيلةَ الماضيةَ طولَ اللّيل إلى السَّحَر

كنتَ تشربُ الخمرةَ صرفًا، لم تُمزج بشيء

واضِحٌ في وجنتيكَ ولونِكَ وعينيكَ

أنك كنتَ تتعاطاها وتتناولُها

فمِنْ ذلك الذي كنتَ تشربُه، أعطِ شُرّابَ الخمر

يا مَنْ أنتَ وليُّ النعمةِ للوجودِ كلّه

دخَلَ الأسدُ اليومَ مجالَ الصّيد

فارتعدت الجبالُ والوديانُ هَلَعًا

ولن تتخلّص منه بالجَرْي فضَعْ رأسَك كالعاشق وستنجو

وستكونُ في أمانٍ دائمًا عندما تتّصل بدار أمانِه

فِرَّ من الكلام ستّينَ فرسخًا فمِنْ فَخّ الكلام أنتَ في هذا الفخّ

تعليقات:

الغزليّتان الثانيةَ عشرة والثالثة عشرة تُظهران كيف أنّ الرّوميّ أعاد استعمالَ الموضوعاتِ والأبيات في غزليّات مختلفة في مناسبات مختلفة. الغزليّتان ٣١٥٣ و ٣١٥٤ تبدأان كلتاهما بالبيت نفسه وتعالجان الموضوعَ نفسَه، لكنّ كلًّا منهما تتطوّر على نحو مختلف.

الغزليّة ١٣ ز اوّلِ بامداد سرمستى D 3154

الوزن: UU̲ ـ ـ ا U ـ U ـ ا ـ ـ (الخفيف)

منذ أوّلِ الصباحِ أنتَ ثمِلٌ

وإلّا فلماذا عقدتَ العِمامةَ معوجّةً

إنّ عينيكَ ثمِلتانِ جدًّا اليومَ

كأنّك الليلةَ الماضيةِ كنتَ تشربُ الخمرَ صِرْفًا

أنتَ روحُنا وشمعُ مجلسِنا

[٣٥٠] السّلامُ عليك، أسعيدٌ أنتَ؟

شربتَ الخمرة، وصعدتَ إلى الفلَك

ثملْتَ، وحطّمتَ القيود

صورةُ العقلِ كلّها ضيقٌ وضنْكٌ

صورةُ العشقِ ليست سوى سُكْر وبهجة

ثملْتَ وصِرْتَ جريئًا

فجلستَ فوق رأسِ أسدٍ ثمِل

كانتِ الخمرةُ القديمة شيخَك في الطريق

فاذهبْ فقد تحرّرتَ من دوران الفلَك القديم

أيّها السّاقي، إنّ إنصافَ الحقّ في يديك

إذ لم تعبدْ إلّا ذلك الشّراب

حملتَ عقلَنا، ولكنْ هذه المرّةَ

احمِلْنا على نحوٍ لا تُرسِلُنا فيه مرّةً أخرى

تعليقات:

السّاقي هو مُديرُ كؤوس الشّراب، الشخصُ الذي يصبّ الخمرة. وكثيرًا ما يُتصوّر شابًّا صبيحَ الوَجْه في شعر الغزَل الفارسيّ، يساعد الشاعرَ في مِحَنه ويأتي أحيانًا بحكمةٍ قديمة. الخمرةُ والسّاقي كانا مرتبطين بتقاليد البلاط في إيران القديمة وبالزّردشتيّة، ولذلك يمثّلانِ نوعًا من الحِكْمة الوثنيّة مختلطًا بالكفر في نظر الشّرع وفي الوقت نفسه يحرّر الشّاعرَ لكي يُبصِر آفاقًا جديدة.

الغزليّة ١٤ مُرده بُدم زنده شدم، گريه بُدم خنده شدم **D1393**

الوزن: ـ UU ـ |ـ UU ـ |ـ UU ـ | ـ UU ـ (السّريع)

كنتُ مَيتًا فصِرْتُ حيًّا، كنتُ باكيًا فصِرْتُ ضاحكًا

جاءت دولةُ العِشْق فصِرْتُ دولةَ راسخةَ الأساس

لِيَ عينٌ شبِعة، لِيَ روحٌ شجاعٌ

لي إقدامُ الأسد، صِرْتُ لألاءً كالزُّهَرة

قال: «لستَ مجنونًا، لستَ لائقًا بهذا المكان»

ذهبتُ وصِرْتُ مجنونًا مقيّدًا بالسّلاسل

قال: «لستَ ثمِلًا، امضِ، لستَ من هذه المجموعة»

ذهبتُ وثمِلْتُ وامتلأتُ بالطَّرَب

قال: «لستَ مقتولًا، لستَ مغمورًا بالطَّرَب»

أمامَ وجهه المحيي وقعْتُ مقتولًا

[٣٥١] قال: «أنتَ ذكيٌّ، ثمِلًا بالخيال والشّكّ»

صِرتُ غبيًّا، صِرْتُ مَهولًا، وانزويتُ عن الجميع

قال: «صِرْتَ شمعًا [مضيئًا]، صِرْتَ قِبْلَةً لهذا الجَمْع»

لستُ جَمْعًا [مجتمعَ الذهن] لستُ شمعًا، صرتُ دُخانًا مبعثرًا

قال: «أنت شيخٌ وإمام، تقدَّمْ وقُدِ الرَّكب»

لستُ شيخًا، لستُ إمامًا، أنا عَبْدٌ لأَمْرِك

قال: «لديكَ جناحٌ وريشٌ، لم أُعطيك جناحًا وريشًا»

بسبب التّوق إلى جناحه وريشه، صِرْتُ من دون جناح عاجزًا

قال لي السَّعْدُ الجديد: «لا تنصرفْ لا تكابد الأذى

لأنّني لُطفًا وكَرَمًا آتٍ إليكَ

قال لي العشقُ القديم: « لا تنتقلْ من عندنا»

قلتُ: «نعم، لن أفعلَ ذلك» سكنتُ وأقمتُ

أنتَ عينُ الشّمس، وأنا ظِلُّ شجر الصّفصاف

عندما سطعتَ على رأسي، هَوَيْتُ وتلاشيت

ضياءُ الروحِ ألَمّ بقلبي، فانفتح قلبي وانشقّ

نسجَ قلبي أطلسًا [حريرًا] جديدًا، صِرْتُ عدوًّا لهذه الخِرَق

صورةُ الرّوحِ، وقتَ السَّحَر، أخذتْ تفاخر من البَطَر:

كنتُ عبداً ومُكارياً، صِرتُ ملكًا وسيّدا

الورقُ الذي أمسكتُ به لأكتبَ لك يلهجُ بالشُّكْر، لِما أحسّ به من حلاوة سُكّرك فيَّ

فقد جاء إليّ، وصرتُ مماثلًا له

يشكرُ التّرابُ المظلِمُ الفلَكَ المقوّس [قائلًا:]

إنّه من نظَره ودورانه صرتُ قابلًا للنّور

[٣٥٢] يشكر دولابُ الفَلَك للمَلِكِ والمُلْكِ والملَك [قائلًا:]

إنّه من كَرَمه وعطائه صِرْتُ مضيئًا وواهِبًا

ويشكرُ عارفُ الحقّ [قائلًا:] «سبقْنا الجميعَ:

فوقَ سَبْعِ سماواتٍ طباقٍ، صِرْتُ نجمًا لألاء»

كنتُ زُهَرةً، صِرْتُ قمرًا، صِرْتُ فَلَكًا له مئتا طيّة

كنتُ «يوسفَ»، ومنذ الآنَ صِرْتُ ألِدُ اليوسُفينَ

أنا منكَ، أيّها القمرُ اللألاء، فانظرْ إليّ وإلى نفسك

فإنّه بتأثير ضحكتك صِرْت روضةً ضاحكةً

اجْرِ مِثْلَ الشّطرنج، كُنْ صامتًا وكلُّكَ لِسان

فقد صِرْتُ من جبين مليكِ العالَمِ هذا سعيدًا ومباركًا

تعليقات:

اسمُ «يوسف» يشير طبعًا إلى النّبيّ يوسف [عليه السلام] في التّوراة والقرآن، الذي ألقاه إخوتُه في غَيابة الجُبّ لأنّه تلقّى من والده رداءً ملوّنًا، وهي علامةٌ على أنّه كان محلَّ فخرِ والده وسروره. وهو مثالُ الجمالِ في القرآن، الذي يردُّ عُروضًا غيرَ عفيفة من امرأة العزيز. رائحةُ قميص يوسف ويوسفُ في الجُبّ موضوعان مطروقان في الشعر الفارسيّ.

الغزليّة ١٥ باز آمدم، باز آمدم، ازپيش آن يار آمدم D1390

الوزن: ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ (الرّجَز)

جئتُ ثانيةً، جئتُ ثانيةً، جئتُ من عند ذلك الحبيب

فانظرْ إليّ، انظرْ إليّ، جئتُ أبحث عنك بشوق

جئتُ مسرورًا، جئتُ مسرورًا، تحرّرتُ من كلّ شيء

وقد مضت آلافُ السّنين حتّى جئتُ بهذا الكلام

أذهبُ إلى هناك، أذهبُ إلى هناك، كنتُ فوقُ، أذهبُ إلى فوقُ

فدعْني أذهبْ مرّةً أخرى، مرّةً أخرى، فأنا في خُسرانٍ هنا

[٣٥٣] كنتُ طائرًا لاهوتيًا، أرأيتَ كيف صرتُ الآنَ ناسوتيًّا؟

لم أرَ فخّه، وعلى حينِ غِرّة أمسك بي

أنا نورٌ صِرْفٌ، يا بُنيّ، لستُ قبضةَ تُراب

وفي النهاية لستُ صَدَفًا، أنا دُرٌّ ملكيّ

لا تنظرْ إليّ بعَيْنِ الرّأس، بل انظرْ إليّ بعَيْن السّرّ

تعالَ إلى هناكَ وانظر إليّ، فقد جئتُ إلى خفيف الحِمْل

أنا أرفعُ من الأمّهات الأربع، أرفعُ أيضًا من الآباء السّبعة

كنتُ جوهرَ المنجم وقد ظهرتُ هنا

جاء حبيبي إلى السّوق، جاء نشِطًا ذكيًّا

وإلّا فما شُغلي في السّوق؟ جئتُ أبحث عنه

يا شمسَ تَبْريز، ألستَ تنظرُ في العالَمِ كلّه تبحث عنّي؟

إنّني في صحراء الفَناءِ جريحُ الرّوحِ والقلب

تعليقات:

[٣٥٤] «الأمّهاتُ الأربع» تشير إلى العناصر الأربعة عند القدماء: الماءُ والتّراب والنّار والهواء. أمّا تعبيرُ « الآباء السّبعة» فيشير إلى المراتب السّبع أو الطّبقات السّبع التي اعتُقِد قديمًا أنّ الأفلاكَ والنجومَ [الآباء العلوية] قد انقسمت عليها.

الغزليّة ١٦ ايا يارى كه در تو ناپديدم D 1507

الوزن: U - - - | U - - - | U - - (الهَزَج)

أيّها الحبيبُ، إنّني اختفيتُ فيكَ

ورأيتُ لكَ في المنام شكلًا عجيبًا

فكنتُ، كسيِّداتِ مِصْرَ بسبب عشق يوسف،

أقطعُ التُّرُنْجَ ويدي ذاهلًا عن نفسي

أين ذلك القمرُ؟ أين عينا اللّيلة الماضية؟

أين تلك الآذانُ التي كانت تسمع فعلًا؟

لستَ أنتَ موجودًا، ولا أنا، ولا تلك اللحظة

ولا تلك الأسنانُ التي كنتُ أعضّ بها الشّفة

أنا مخزنٌ مملوءٌ بالهَوَس والوسواس

وقد سحبتُ من ذلك البيدر كلَّ الهوس والوسواس

وأنتَ راحةٌ لقلوبِ المهووسين الموسوسين

أنتَ عندي ذوا النُّون والجُنَيْد وأبو يزيد

تعليقات:

كان ذو النّون والجُنَيدُ وأبو يزيد [بايزيد ـ بالفارسيّة] من مشاهير الصوفيّة، وكثيرًا ما يُشار إليهم بوصفهم ممثّلين لمظاهر مختلفة للطّريق الصوفيّ.

الغزَليّة ١٧ نگفتمت: «مرو آنجا كه آشنات منم **D 1725**

الوزن: U ـ U ـ | U U ـ ـ | U ـ U ـ | U U ـ (المجتثّ)

ألَمْ أقلْ لك «لا تذهبْ إلى هناك؛ لأنّني أنا مَنْ يعرفُك

وفي سرابِ الفَناء هذا، أنا عينُ الحياة؟

وحتّى إن رحلتَ عنّي غاضبًا لمدّة ألف سنة

في النهاية ستأتي إليّ؛ لأنّ مُنتهاك أنا»

[٣٥٥] ألَمْ أقلْ لك: «لا تقنعْ بصُوَر العالَم ونقوشه

ذلك أنّني أنا نقّاشُ سُرداقِ رضاك»

ألَمْ أقلْ لك: «أنا البحرُ، وأنت مجرّدُ سمكةٍ فيّ؛

لا تذهبْ إلى اليابسة؛ إنّني أنا بحرُك ذو الصّفاء»

أَلَمْ أقلْ لك: «لا تذهبْ مِثْلَ الطيور إلى الفخّ

تعالَ؛ إنيّ أنا جناحاكَ وريشُك وقدرتُك على الطيران»

ألَمْ أقلْ لك: «سيقطعونَ عليكَ الطّريقَ ويتركونكَ تبرد

إنيّ أنا نارُ هواكَ وحرارتُه ودِفْئه»

أَلَمْ أقلْ لك: « سيغرسون فيكَ الصّفاتِ القبيحة

لكي تنسى أنّني منبعُ الصّفات»

أَلَمْ أقل لك:« لا تتحدّثْ عن الجهةِ التي

ينتظم بها أمرُ العَبْد؛ فإنّني أنا الخلّاقُ من دون جهات

وإن كنتَ سِراجًا للقَلْب، فاعرفْ أين الطّريقُ إلى المنزل

وإن كنتَ متخلّقًا بأخلاق الله فاعلمْ أنّني سيّدُك

الغزليّة ١٨ آه چه بى رنگ وبى نشان منم! **D1759**

الوزن: ـ U ـ ـ | ـ U ـ U | ـ U U ـ (الخفيف)

آه، أيُّ شخصٍ لا لونَ له ولا علامةَ أنا!

فمتى أرى نفسي على ما أنا عليه؟

[٣٥٦] قُلتَ: «أَذِعِ الأسرار وَسْطَ الناسِ»

فأين الوسْطُ في الوَسْطِ الذي أنا فيه؟

متى يسكنُ روحي هذا؟!

على هذا النحوِ السّاكن المتحرّكِ الذي أنا عليه

غَرِق بحري أيضًا في ذاته

فأيُّ بحرٍ عَجَبٍ لا ضفافَ له أنا

لا تطلبْني في هذه الدنيا ولا في تلك الأخرى

فإنّ هاتَيْنِ ضاعتا في تلك الدنيا التي أنا فيها

فرغتُ من النّفعِ والضَّرّ كالعَدَم

أيُّ شخصٍ طريف لا نفعَ له ولا ضرَّ أنا!

قلتُ: «أيّها الحبيبُ، إنّ ذاتَك عينُ ذاتي» قال:

وماذا تكون العينُ فيما أنا فيه؟

قلتُ: «ذلكَ ما أنتَ عليه!» قال: «هاي! الصّمتَ

ما أنا عليه يعجِزُ اللسانُ عن بيانه»

قلتُ: «عندما يعجِزُ اللسانُ عن بيانه

فأيُّ متحدّث من دون لسان أنا عِندَك!»

صرتُ في الفَناءِ كالقمر من دون قَدَم

فأيُّ عديمٍ للقَدَم جارٍ على قَدَمٍ أنا عندك!

[٣٥٧] جاء نداءٌ: «لماذا تجري؟! انظرْ

إلى مِثْل هذا الظاهر الخفيّ الذي هو أنا»

وعندما أبصرتْ عيناي شمسَ تَبْريز

أيُّ بحرٍ وكنزٍ ومنجمٍ عجيبٍ أنا

الغزليّة ١٩ هر كه از حلقهٔ ما جاى دگر بگريزد D 794

الوزن: ـUـ ـ |UUـ ـ|UUـ ـ|UUـ (الرَّمَل المخبون)

كلُّ مَنْ يفرّ مِنْ حَلْقتنا إلى مكان آخر

يكون كمَنْ يفرُّ من السَّمع والبَصَر

والعاشقُ يشربُ دَمَ الكبد، لأنّه أسَد

فمتى يكون أسديَّ القلب [شجاعًا] من يفرّ من الكبد؟

القلبُ مِثْلُ الببغاء ومن الصّنف الذي يستلذّ بالسُّكّر

هل رأى أحدٌ ببغاءً يفرّ من السُّكّر؟

البعوضةُ هي التي تنطلق في كلّ ريحٍ مخالفة

ولِصُّ الليل هو الذي يفرّ من القمر

وكلّ رأسٍ ينفخُ فيه الحقُّ الحيرةَ والدّهشة

يتركُ عِلّيين، ويفرّ نحو سَقَر

ومَنْ كان عارفًا للموت يفرّ نحو الموت

يفرّ نحو المُلْك الأبديّ والتّاج والإيوان

وإذا قال القضاءُ إنّ فلانًا سيموتُ في السّفَر

يفرّ ذلك الشخصُ إلى السّفر خشيةَ الأجل

فكُفّ ولا تصطدْ ما لا يستحقّ الصّيد

فإنّ خيالَ اللّيل واللّيلَ يفرّان من السَّحَر

تعليقات

كثيرًا ما يشبَّه المعشوقُ بضوءِ القمر، ولذلك يكون اللّصوصُ وحدَهم هم الذين يفرّون من حضور المعشوق. عبارةُ «يفرّ إلى السّفَر خشية الأجل» تشير إلى حديث مشهور: عندما يشاء الحقُّ أن يقبض روحَ عَبْدٍ من عباده في مكانٍ من الأرض، يضطرّه إلى السَّفَر إلى ذلك المكان. ويحكي الرّوميّ قصّةً في شأن هذا في المثنويّ.

[٣٥٨] الغزليّة ٢٠ به من نگر، به دو رخسار زعفرانی من D 2077

الوزن: U ـ U ـ | U U ـ ـ | U ـ U ـ | U U ـ (المجتثّ)

انظر إليّ، إلى خدَّيّ الزّعفرانيّين

إلى ألوانِ علاماتِ دنياي

إلى رُوحي الشّيخِ القديم في جسدي

جعَلَ اللهُ شبابي غبارًا لقَدَمَيه

أَحِدَّ نظَرَك، وانظرْ إلى عينيّ

ولا تسرقْ قلبي من معشوقي

إذا وصلتْ قُبلةٌ إلى شفتي من ذلك الحظّ

كسَدَت سوقُ السُّكّر من قَنْدِ كلامي المعسول

يصِلُ ظاهرُ كلامي إلى الآذان

ولا تصلُ صيحاتُ روحي إلى أحَد

ما أكثرَ النّارَ التي تشتعلُ من هذا النَّفَس في العالَم

وما أكثرَ البقاءَ الذي يجيش من كلامي الفاني

ومنذ أن نظرتُ إلى شمسِ مفخر تَبْريز

لم يعُدْ لمعانيّ أيّ قرارٍ أو ثبات

[٣٥٩] الغزليّة ٢١ آب حياة عشق را در رگه ما روانه كن D 1821

الوزن: ـ U U ـ | U ـ U ـ | ـ U U ـ | U ـ U ـ (الرّجَز)

أجْرِ ماءَ حياةِ العِشق في عروقِنا

اجعَلْ مِرآةَ الصَّبوح ترجمةً ليليّة

يا أبا النّشاطِ الجديد، اجْرِ في عروق روحنا

كُنِ الكأسَ المُظهِرةَ للفَلَك، وتنحَّ عن الدّنيا والآخرة

يا مَنْ عَقْلي صيدُك، والرّميُ بالسّهامِ شِعارُكَ

أمسِكْ بشِصٍّ (*) قلبي، واجعَلْ روحي هدفًا

وإنْ منعَكَ عسّاسُ العقلِ من فِعْلِ ذلك

احتَلْ، تخلّصْ منه، ادفعْه، التمس الذّرائع

وفي الأمثال أنّ الشُّقْرَ بعيدون عن الكَرَم

فانظر إلى كرَمِ أشقري وارو الحكاياتِ للجميع

يا مَنْ جعَلَك لَعِبُ النجوم مندهشًا ومِثْلَ البَيْدق

اخترِ الفَرَسَ، انقضّ على القلعة، احمِلْ على الشّاه

انهضْ، أمِلِ القُبّعةَ تبخترًا، تجنّبْ كلّ الأشراك

قبِّلْ خدَّ الرّوح، مشِّطْ ضفيرةَ الفَرَح

انهضْ،، اصعَدْ إلى السماء، تعرّفِ الملائكة

ادخلْ في «مَقْعَدِ صِدْق»، اخدُمْ تلك العتبة

عندما تتّخذُ صورتُه الجميلةُ مسكنًا في قلبك

عندما تصير خيالًا، اسكنْ في القلب والعقل

هناك طسْتانِ [وعاءان] في أحدهما نارٌ والآخَرُ من ذهَب

اخترِ النّارَ، واغمسْ يدَك فيها

* ـ الشّصّ: حديدةٌ عقفاء يُصاد بها [المترجم].

صِرْ مِثْلَ الكليم لكي لا تنظرَ إلى الطّست الذهبيّ

أمسكِ النّارَ بفِيك، اجعَلِ الشّفةَ وطنًا لألسنة النار

لطِّفْ حملةَ الأسد، اجعَلِ الخصومَ أحبّاء

سَمٌّ جرعةَ دمِ الخَصْم خمْرَ المجوس

الأمرُ لكَ أيّها السّاقي، أزلِ الاثنينية، تعال، تعال

ضَعْ في كفّي جرعةً واحدة، وحِّدِ التّفرقة

[٣٦٠] هذا الوطنُ ستُّ جهات، فلا تبحثْ فيه عن قِبْلةٍ واحدة

إنّ موضعَ القِبلة هو اللّاوطنُ، فاجعَلْ عُشَّكَ في العَدَم

هذا الزّمانُ شيخٌ هَرِم، لا تنشُدْ فيه عُمُرَ الأبد

اجعَلْ مرتَعَ عُمُرِ الخُلْد خارجَ هذا الزمان

يا مَنْ أنتَ كالسُّنبُلة، روحُك القمحُ وقالَبُك التّبنُ

لو لم تكنْ حِمارًا لماذا تأكلُ التّبنَ؟ اقصِدِ اللُّبَّ والحَبّ

هناك لسانٌ خارجَ الباب، فلماذا صِرْتَ حَلْقةَ باب؟

اكسِرِ البابَ بروحكَ، اجْرِ نحوَ الرّوح

تعليقات:

خمْرُ المجوس: انظر الحاشية المتعلّقة بالزّردشتيّة في الغزليّة ١٣.

الغزَليّة ٢٢ مطرب مهتاب رو! آنچه شنيدى بگو D 2245

الوزن: ـ U U ـ | ـ U ـ | ـ U U ـ | ـ U ـ (المنسرح)

أيُّها المطرِبُ القَمَريُّ الوجه! حدّثنا عمّا سمعتَه

نحنُ جميعًا أهلٌ لسَماع الأسرار، حدّثْنا عمّا رأيتَه

أيْ مليكَنا وسُلطانَنا، أي محلّ طربنا وسرورنا،

لماذا جئتَ إلى حرَم روحِنا؟ حدّثنا

أأنتَ العينُ النّرجسيّةُ الخمّارةُ لمن حبيبُه الله؟

كلُّ ما قطفتَه اللّيلةَ الماضية من رَوْضه، حدّثْنا عنه

[٣٦١] يا مَنْ فررتَ من قبضتي، مثل قلبي الثَّمِل

يا مَنْ رأيتَ الجميعَ، حدّثْنا عمّا اخترتَه

يأتي العِيدُ ويذهب، لكنّ عِيدَك يبقى إلى الأبد

كيف تحرّرتَ من سُلطانِ الفلَك من دون مددٍ؟ ـ حدّثْنا

غرقتُ في قَصباءِ سُكّرِ (*) الرّوح، أيها السّكّر

فإن كنتَ ذقتَ شيئًا من سُكّر هذه القَصْباء فحدِّثْنا

تجذبني الخمرُ ناحيةَ الشّمال، وتجذبُني الخمرُ ناحيةَ اليمين

امضِ، إنّ الجذْب شيء حَسَنٌ، ماذا جذبتَ أنتَ؟ ـ حدّثْنا

صببتَ الخمرَ في القَدَح، فأثرتَ الفِتْنة

أيُّ مفتاحٍ للحانات أنتَ؟ حدّثْنا

أنتَ ثورةُ حاناتِنا، أنتَ نورُ مناجاتِنا

كشفتَ قِناعَ حاجاتنا أنتَ أيضًا، حدّثْنا

القمرُ في غِلالةِ السّحاب صار مُعتمًا وباهتًا

(*) ـ قَصْباء السُّكّر تعبيرٌ اخترناه لحقل قصب السُّكّر [المترجم]

أيُّها القمرُ المتحرّر من السُّحبِ النّائي عنها، حدّثْنا

أدامَ اللهُ ظِلَّك، أنارَ اللهُ قمرَك

جَعَلَ اللهُ الفَلَك عبدًا لك، مِمَّ خفتَ؟ حدّثْنا

قال لي العشقُ البارحةَ: «كيفَ أصبحتَ عاشقًا لي؟»

قلتُ: « لا تنسِجْ على «كيف»، ما نسجتَه تحدّثْ عنه»

[٣٦٢] كنتُ رجلًا مُجاهِدًا، كنتُ عاقلًا وزاهدًا

لماذا طِرْتَ كالطّائر طلبًا للسّلامة؟ حدّثْنا

المقبوسُ الشعريّ ٢٣، أنشودةُ النّاي

بشنو اين نى چون تگايت مى كند ME: 1: 34

الوزن: ـ U ـ ـ | ـ U ـــ | ـ U ـ (الرَّمَل)

ـ استمعْ إلى هذا النّاي كيف يشكو، إنّه يحكي عن آلام الفراق [يقول:]

ـ« إنّني منذ قُطعتُ من القَصْباء، والنّاسُ رجالًا ونساءً يبكون لبكائي.

ـ إنّني أنشُدُ صدرًا مزّقَه الفراق، لكي أشرح له ألَمَ الاشتياق

ـ فكلُّ إنسانٍ أقام بعيدًا عن أصْلِه، يظلُّ يبحثُ عن زمانِ وصْلِهِ

ـ أصبحتُ في كلّ مجتمعٍ نائحًا، وصِرْتُ قرينًا للبائسين والسُّعداء

ـ وقد ظنّ كلُّ إنسانٍ أنّه قد أصبحَ لي رفيقًا، ولكنّ أحدًا لم ينقّب عمّا كمَنَ في باطني من أسرار.

ـ وليس سِرّي ببعيدٍ عن نُواحي، ولكنْ أنّى لعينِ ذلك النّورُ أو لأُذُنٍ ذلك السّمعُ الذي به تُدرك الأسرار؟

ـ [٣٦٣] وليس الجسمُ بمستورٍ عن الرّوح، ولا الرّوحُ بمستورٍ عن الجسم، ولكنَّ رؤيةَ الرّوح لم يُؤذَن بها لإنسان».

ـ إنّ صوتَ النّاي هذا نارٌ لا هواء، فلا كان مَنْ لم تضطرم في قلبه مِثْلُ هذه النّار.

ـ وهذه النّارُ التي حلّتْ في النّاي هي نارُ العِشق، كما أنّ الخمر تجيش بما استقرّ فيها من فورة العِشق.

ـ إنّ النّايَ نديمٌ لكلّ مَنْ فرّقَه الدّهرُ عن حبيب، وإنّ أنغامَه قد مزّقتْ ما يُغشّي أبصارَنا من حُجُب.

ـ مَنْ رأى مِثْلَ النّاي سُمًّا وترياقًا؟ ـ مَنْ رأى مِثْلَ النّاي رفيقًا مشتاقًا؟

ـ إنّ النّايَ يروي لنا حديثَ الطّريق الذي ملأتْه الدّماء، ويقصُّ علينا قِصَصَ عِشْق المجنون.

ـ وهذه الحكمةُ (التي يرويها) قد حُرّمتْ على مَنْ لا عقلَ له، فليس هناك من يشتري بضاعةَ اللّسان سوى الأذن.

ـ وقد أصبحتْ أيّامُنا متشابهاتٍ في الهموم، وصارت الحُرَقُ والآلامُ مُلازمةً لهذه الأيّام.

ـ فإذا ذهبتِ الأيّامُ فقُلْ: «اذهبي، فلا خوفَ لدينا من ذهابك، ولتبقَ أنتَ يا مَنْ ليس لك نظيرٌ في الطّهرِ والنّقاء».

ـ كلُّ مَنْ لم يكن من فصيلة السَّمَك يشبعُ من الماء، وكلُّ من كان بلا رزقٍ طال يومُه.

ـ ولا يستطيع غِرٌّ أن يدركَ حالَ مَنْ أنضجتهم التجاربُ، فلنقصُرِ القولَ على ما قلناه، ونكتفِ به.

ـ أيُّها الولَدُ، حطِّمْ قيودَك وتحرّرْ منها، إلامَ تَظلُّ عبدًا للفضّة وعبدًا للذهب؟

ـ إنّك لو أردتَ أن تغترف البحر بكُوز، فهل يسَعُ هذا الكوزُ أكثرَ مما يكفيك يومًا واحدًا؟

ـ إنّ كُوزَ عَيْنِ الحريصين (على الدّنيا) لا يمتلئ (لا يغمض لعينهم جفنٌ)، ولا يمتلئ الصّدفُ بالدُّرّ إلّا حين يغتمض.

ـ وكلُّ من تمزّقتْ ثيابُه من العِشْق، أصبح طاهرًا من الحِرْص ومن كلّ العيوب.

ـ فَلْتسعدْ أنتَ، يا مَنْ عشقُه الجميل سِرُّ هُيامنا، ويا مَنْ هو الطبيبُ لعِلَلِنا كلّها.

ـ [٣٦٤] يا مَنْ أنتَ الدّواءُ لغُرورنا وكبريائنا، يا مَنْ أنتَ لنا مثلُ أفلاطون وجالينوس.

ـ إنّ العشقَ جعَلَ جسمَ الأرض يعلو على الأفلاك، فرقصَ الجبلُ، وأضحى خفيفَ الحركة.

ـ العِشْقُ حلَّ في روح الطُّور، أيّها العاشقُ، فسَكِرَ الطّورُ، وخرَّ موسى صَعِقا

ـ آه لو كانتْ شفتايَ تقترنانِ بشفتي حبيبي، لكُنتُ كالنّاي أقولُ ما ينبغي قولُه

ـ فكلُّ مَنْ فرّقه الدّهرُ عن أهلِ لسانه، أصبح من دون لسانٍ، حتّى لو سُمِعَ له مئةُ صوت.

ـ فإذا ذهبَ الوَرْدُ، وذوى الرّوضُ، لم تعد تسمعُ بعد ذلك أيَّ قصّةٍ من البُلْبُل عن أشجانه.

ـ إنّ المعشوقَ هو الكلُّ، وأمّا العاشقُ فحجابٌ، والمعشوقُ هو الحيُّ، وأمّا العاشقُ فميتٌ.

ـ وعندما لا تكون للعاشق رعايةٌ من العشق، يبقى تَعِسًا كطائرٍ بلا جناح.

ـ وكيف يكونُ لي عقلٌ يدرك ما أمامي وما ورائي، عندما لا يكون نورُ حبيبي أمامي وورائي.

ـ إنّ العشقَ يقتضينا أن نبوحَ بهذا القول، وإلّا فكيف تكون المرآةُ إذا لم تعكس صُوَرَ المرئيّات؟

ـ أوَ تدري لِمَ أظلمتْ صفحةُ مرآتِك؟ ـ إنّها أظلمتْ لأنّ الصّدأ قد علاها، ولم ينفصلْ عنها.

الغزليّة ٢٤ اين خانه كه پيوسته در او بانگ چغانه ست D 332

الوزن: - - U | U - - U | U - - U | U - - (هزَج أخرب مخفوف)

هذا البيتُ الذي تنبعث منه دائمًا أصوات الصّغانة(•)

اسألِ السيِّد: لِمَنْ هذا البيتُ؟

فإن كان هذا بيتَ الكعبة، فما صورةُ الصّنم هذه؟

[٣٦٥] وإن كان دَيْرًا للمجوس فما نورُ اللهِ هذا؟

هناكَ كنزٌ في هذا البيت لا يتّسع له الكونُ

وهذا البيتُ وهذا السيّدُ كلاهما مجرّدُ تعمُّل وذريعة

لا تضَعْ يدَكَ على البيت، فإنّ هذا البيتَ طَلْسمٌ

ولا تكلِّمِ السيِّد، فإنّه سَكِرٌ طوالَ اللّيل

إنّ غُبارَ هذا البيت وغُثاءَه كليهما كالعنبر والمِسْك

والأصواتُ في هذا البيت كلُّها شِعْرٌ وألحان

وجملةُ الأمرِ أنّ كلَّ مَنْ وجد سبيلًا إلى هذا البيت

هو سُلطانُ الأرض، وسليمانُ الزّمان

• ـ الصَّغانة على زنة سَحابة تعريبٌ للفارسيّة چغانه، وهي آلة موسيقيّة وتَرية [المترجم].

أيُّها السيّدُ، أطِلَّ لحظةً من هذا البيت إلى الأسفل

فإنّ في خَدّك الجميل علامةً للإقبال والسّعادة

قسَمًا بحياتِك، إنّ كلَّ شيء، ما خلا رؤيةَ وجْهِك،

حتّى لو كان مُلْكَ الأرض، هُراءٌ وسَقَطُ مَتاع عندي

وقد حار البُستانُ واندهش: أيّةُ أوراقٍ وأيّةُ براعم تلك التي حملتْها أشجارُه؟!

وقد وَلِهتِ الطّيرُ: أيّةُ أفخاخٍ وأيّة حبوب [أُعدّتْ لصيدها]؟

هذا سيّدُ الفَلَك الشّبيهُ بالزُّهَرةِ والقمر

وهذا بيتُ العِشْق الذي لا حدَّ له ولا نهاية

مِثْلَ المرآة طبَعَ الرّوحُ صورتَك في القلب

وتخلّلَ القلبُ في طرف ضفيرتك مِثْلَ المُشْط

[٣٦٦] إنّه في حضرة يوسُف قطّعت النّساءُ أيديَهنّ

فتعالَ إليّ أيُّها الحُبُّ، فإنّ روحي موجودةٌ في ذلك المكان

إنّ كلَّ مَنْ هم في البيت ثَمِلون، وليس لدى أحدٍ عِلْمٌ

عمّن يدخلُ هل هو فلانٌ أو فلان

لا تجلِسْ عند العتبَة، فإنّ ذلك شُؤمٌ، ادخلِ البيتَ سريعًا

فإنّه يُظْلِمُ مَنْ مكانُه العتبةُ في الخَلْف

إنّ سُكارى محبّةِ الحقّ، برغم أنّهم آلافٌ، شخصٌ واحدٌ

أمّا سُكارى الهوى فأشتاتٌ متعدِّدون

امضِ إلى غِيلِ الأُسُود، ولا تفكّر بالجُروح

فإنّ الفِكَرَ المخيفةَ مُشكلةٌ عند النّساء

فليس ثمّة جُروحٌ وألَم، بل كلُّه رحمةٌ ومحبّة

لكنّه وراءَ الباب، يكون وهمُك مِثلَ المِزْلاج

لا تُضْرِمِ النّارَ، واصمتْ أيّها القلبُ

واخزنْ عليكَ لِسانَك، فإنّ لسانَكَ شُعلةُ نار

الغزليّة ٢٥ اى بُخارِى را تو جان پنداشته D 2382

الوزن: ـ U ـ ـ | ـ U ـ ـ | ـ U ـ (الرَّمَل)

يا مَنْ ظننتَ البُخارَ رُوحًا

ظننتَ حبّةَ الذّهب منجمًا للذّهب

[٣٦٧] يا مَنْ خُسِفتْ بك الأرضُ مِثْل قارون

ويا مَنْ ظننتَ الأرضَ سماء

يا مَنْ رأيتَ لُعَبَ الشّيطان

ظننتَ اللُّعبَ أناسيَّ

يا مَنْ فرَّ العشقُ من عارك

يا مَنْ خِلْتَ نفسَك موجودًا

يا مَنْ هلّتْ عيناكَ الدّمْعَ بسبب دخان الكفر

ظننتَ الدّخانَ نورًا لألاء

يا مَنْ أدخلتْه الشّهوةُ في القذارة

ظننتَ العاشقينَ على مثالِك

إنّ سُكْرَ الشّهوة أمارةُ اللّعنة

يا مَنْ ظننتَ العلامةَ بلا علامة

يا مَنْ فسدتَ بين الحرف والصّوت

ويا مَنْ ظننتَ الحقّ لا لسانَ له

إنّ قمرَه يُشِعُّ على عَماك

يا مَنْ ظننتَ القمرَ مختفيًا أيضًا

إنّ كلَّ ما قلتُه إنّما قُلتُه لنفسي

يا مَنْ ظننتَه هجاءً للآخرين

تعليقات:

[٣٦٨] لمّا كان الرّوميّ خطيبًا وواعظًا محترمًا، استطاع بسهولة أن يجعل مستمعيه يعتقدون بأنّه كان يقدّم لهم إرشادات. وفي نهاية هذه الغزَليّة، برغم ذلك، يسخر منهم بتوجيه كلامه إلى نفسه.

الغزليّة ٢٦ زهى لواء وعَلَم لا إله إلّا الله D2407

الوزن: U_U_ | U U_ _ | U_U_ | U U_ (المجتثّ)

أيُّ لواءٍ وعَلَم، لا إلهَ إلّا الله

ذلك المرفوعُ فوقَ أوجِ القِدَم، لا إلهَ إلّا الله

كيف يثيرُ الملِكُ الغبارَ مِثْلَ موسى

مِنْ بحر الوجودِ والعَدَم، لا إلهَ إلّا الله

أُخِذتْ صفاتُ الصّفاءِ من خجلته

أمامَه في القِدَم، لا إلهَ إلّا الله

ظُلْمٌ واحدٌ منه خيرٌ من مئة ألف عَدْل

فيا لجَمالِ الظُّلْم، لا إلهَ إلّا الله

في كلّ ناحيةٍ ينظر إليها ينبُت

ألفُ حديقةٍ من حدائق إِرَم، لا إلهَ إلّا الله

في يومٍ عجيبٍ، سأصِلُ من بحر الغمّ إلى الشاطئ

بفَضْل موجِ اللّطفِ والكَرَم، لا إلهَ إلّا الله

لَنْ يظفر من مَلِكنا بأيّة رائحة روحُ ذلك الإنسان

الذي تنظر إليه بغَمّ، لا إلهَ إلّا الله

كلُّ عيْنٍ لم تقبلِ الكُحْلَ من مَلِك تَبْريز

أيُّ أسفٍ ونَدَمٍ سيكون عليها، لا إلهَ إلّا الله

يأتي إلى قلبي وروحي نداءُ «ألَستُ»، فيسمعُ المِلكُ

ألفَ صوتٍ: «بَلى»، لا إلهَ إلّا الله

[٣٦٩] إنّ جَنّةَ لُطفِ المِلك شمسِ الدّين وعَظمتِه

شفاءٌ للسَّقَمِ أيُّ شفاء، لا إلهَ إلّا الله

يطوفُ قلبي بتَبْريز مثل المُحْرِم

في ذلك الحَرَم الحرَام، لا إلهَ إلّا الله

ما أجملَ أن أقول: « مَنْ بالباب؟»

فيقول: «أنا»، لا إلهَ إلّا الله

تعليقات:

«لا إلهَ إلّا الله»، طبعًا، إحدى العبارات الأكثر تداولًا التي تُسمع في سياق إسلاميّ، وتُكرَّر خمسَ مرّاتٍ في اليوم من المآذن لدعاء الناس إلى الصّلاة.

ويستعملُها أيضًا كثيرٌ من الصوفيّة في صورة «ذِكْر»، وذلك لتركيز تأمّلهم وتحقيق خشوعهم.

الغزليّة ٢٧ اى يوسفِ خوش نامِ ما، خوش مى روى بر بامِ ما **D4**

الوزن: ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ ا ـ ـ U ـ ا (الرّجزّ)

أيْ يُوسُفَنا ذا الاسم الجميل، يا مَنْ تعتلي سَقْفَنا على نحو جميل

يا مَنْ كسرْتَ جامَنا، يا مَنْ مزّقْتَ شَرَكَنا

يا نُورَنا، يا مأدُبتَنا، يا سَعْدَنا المنصور

ضَعْ جَيَشانًا في اهتياجِنا، لكي يصير عِنبُنا خمرًا

يا سالبَ قلوبنا ومقصودَنا، يا قِبْلَتنا ومعبودَنا

ها قَدْ أضرمتَ النّار في عُودِنا، انظرْ ما يصدرُ عنّا من الدّخان

يا حبيبنا، يا عيّارَنا، يا شَرَكَ قلْبِ خمّارنا

لا تُعِدْ سَحْبَ قَدَمِك من عَمَلِنا، خُذْ عِمامتَنا رَهْنًا

[٣٧٠] غاصَتْ قَدَمُ القلبِ في الطّين، لكنّني سأقدّم الرّوحَ لا القلبَ وحْدَه

ومن نار حُرْقة القَلْب، واهًا للقَلْب، واهًا لنا

الغزَليّة ٢٨ من غلامِ قمرم، غير قمر هيج مگو **D 2219**

الوزن: ـ U ـ ـ ا U U ـ ـ ا U U ـ ـ ا U U ـ (الرَّمَل المخبون)

أنا خادِمٌ للقمر، لا تذكرْ إلّا القمر

لا تذكرْ عندي إلّا كلمتَي شَمْع وسُكّر

لا تذكرْ كلمة «ألم»، لا تذكرْ إلّا كلمةَ «كنز»

وإنْ كنتَ لا تعرف شيئًا عن هذا، فلا تتألّم، لا تذكر شيئًا

في الليلةِ الماضية صِرْتُ مجنونًا، رآني العشقُ فقال:

«جئتُ، فلا تصرُخْ، ولا تمزِّقْ ثيابَك، لا تذكرْ شيئًا»

قلتُ: «أيّها العِشْقُ، أخافُ من شيءٍ آخر»

قال: «ليس ثمّةَ شيءٌ آخر، لا تذكرْ شيئًا»

سأهمسُ في أُذُنِكَ أسرارًا

فهُزَّ رأسَك مُعلنًا الموافقةَ، لا تذكرْ شيئًا إلّا سِرًّا

ظهَرَ قمرٌ روحيُّ الصّفةِ في طريق القلب

كم هو لطيفٌ السّفَرُ في طريق القلب، لا تذكرْ شيئًا

قلتُ: «أيُّها القلبُ، أيُّ قمرٍ هذا؟ فأشار القلبُ:

«هذا أمرٌ أكبر من أن تعرفَه، امضِ، لا تذكرْ شيئًا»

قلتُ: «عجبًا، أ هذا وجْهُ مَلَكٍ أم وجهُ بشر؟»

قال: «هذا غيرُ المَلَكِ وغيرُ البشر، لا تذكرْ شيئًا»

[٣٧١] قلتُ: «فما هذا؟ قُلْ! سيغدو عاليَّ سافلي»

قال: «فَلْيغدُ عاليكَ سافِلَك، لا تذكرْ شيئًا

أيُّها الجالسُ في هذه الدّار المليئة بالصُّوَر والأخيلة

قُمْ، اذهبْ من هذه الدّار، احمِلْ أمتعتَك، لا تذكر شيئًا»

قُلتُ: «أيُّها القلبُ، كُنْ أبًا، أليسَ هذا وصْفَ الحقّ [تعالى]؟»

قال: «نعم، هذا هو، ولكنْ لا تذكرْ شيئًا عن روح الأب»

تعليقات:

استعملتُ تعبير «orb» على امتداد هذه التّرجمات لأترجمَ ما هو حَرْفيًّا «قمر moon» (ماه، قمر، بالفارسيّة). وهذا هو المُحَيّا اللألاءُ للمعشوق، الذي تشحُبُ إلى جانبه الفِكَرُ والصُّوَرُ الأخرى جميعًا. ولسُوء الحظّ، لا يتمتّع «وجْهُ القمر moon face» في الإنكليزيّة بإيحاءٍ سعيدٍ جدًّا.

المقبوسُ الشعريّ ٢٩ يلوم موسى الرّاعي، ويعاتِبُ الحقُّ موسى

ديد موسى يك شباني را به راه **ME 2: 1724-64**

الوزن: ـ U ـ ـ | ـ U ـ ـ | ـ U ـ (الرَّمَل)

ـ رأى موسى راعيًا على الطريق، وكان هذا يردِّد: « إلهي، يا مَنْ تصطفي (مَنْ تشاء)،

ـ أينَ أنتَ لكي أصبحَ خادمًا لك، أصلح نَعلَيْك، وأمشّط رأسَك!

ـ وأغسِل ثيابَك وأقتل ما فيها من القَمْل، ،وأحمل إليك الحليب، أيُّها العظيم

ـ وأقبِّل يدَكَ اللطيفة، وأفرك قدمَك الرّقيقة، وأنظّف مَخْدَعك حين يحين وقتُ المنام.

ـ يا مَنْ فداؤُك أغنامي كلّها، ويا مَنْ لذِكْرِك حنيني وهُيامي!»

ـ وأخذ الرّاعي يردِّدُ هذا النّمطَ مِنْ هُراء القول. ورآه موسى، فناداه قائلًا:

« مع مَنْ تتحدّثُ أيّها الرّجلُ؟»

ـ فقال الرّاعي: «مع ذلك الشّخصِ الذي خَلَقَنا. مع مَنْ ظهرتْ بقُدرته هذه الأرضُ، وتلك السّماوات».

ـ فقال موسى: «حذارِ، فقد أوغلتَ في إدبارك. وما غدوتَ بقولك هذا مسلمًا، بل صِرْتَ من الكافرين.

ـ ما هذا العبَثُ وما هذا الكفرُ والهذيانُ؟ أ لا فلتحشُ فَمَك بقطعةٍ من القطن.

ـ [٣٧٢] إنّ نَتَنَ كُفْرِكَ قد جعَلَ العالَمَ كلَّه مُنتِنًا، بل إنّ كفرك مزّق ديباجة الدّين.

ـ إنّ النّعْلَ والجوربَ يليقان بك، ولكن متى كان مثلُ هذين يليقان بالشّمس؟

ـ فإنْ لم تسدَّ حَلْقَكَ عن مِثْل هذا الكلام، فإنّ نارًا سوف تندلعُ وتلتهمُ الخَلْق.

ـ وإنْ لم تكن النّارُ قد اندلعتْ فما هذا الدّخان؟ ـ ولماذا أصبحت نفسُكَ مُسودّةً وروحُك مردودًا؟

ـ وإنْ كنتَ تعلمُ أنّ اللهَ هو الحاكمُ، فكيف اعتقدتَ بمثْلِ هذا السَّفَه والوقاحة؟

ـ إنّ صداقة الأحمق هي عَيْنُ العداوة، وما أغنى الحقّ تعالى عن مثل هذه الخدمة.

ـ فمع مَنْ تتحدّث، أمعَ العمِّ والخال؟ وهل الجسمُ والحاجةُ من صفاتِ ذي الجلال؟

ـ إنّ الحليبَ يشربُه من يكون قابلًا للنّشأة والنّماء، والنّعْلَ يلبسه مَنْ هو في حاجةٍ إلى القَدَم.

ـ وحتّى لو كان هذا القِيلُ والقالُ (موجّهًا) لعَبْدِ الله الذي قال عنه الحقُّ: «إنّه ذاتي وأنا ذاتُه»،

ـ هذا العبدُ الذي هو مغزى حديثِ الحقّ: «مرضتُ فلَمْ تعدْني. لقد غدوتُ مريضًا، وليس عبدي وحْدَه هو الذي مَرِض»،

ـ لكان مقالُك هذا عَبثًا وهُراءً في حقّ هذا العبد، بعد أنْ غدوتُ له سَمْعًا وبصَرا.

ـ إنّ التحدّثَ من دون أدبٍ مع خواصّ الحقّ، يُميتُ القلبَ ويجعلُ الصحائفَ سُودا.

ـ فبِرُغم أنّ الرّجالَ والنّساء جميعًا من جنسٍ واحد، لو سمّيتَ رجلًا «فاطمةً»، لسعى لقَتْلِكَ إنْ وجَدَ إلى ذلك سبيلا، برغم أنّه قد يكون حسَنَ الخُلُق حليمًا وادعًا.

ـ إنّ اسم «فاطمة» مدْحٌ في حقّ النساء، لكنّك لو دعوتَ رجلًا به لكان كطَعْن السّنان.

ـ واليدُ والقَدَمُ هما في حقّنا من صفات المديح، لكنّهما في حقّ الخالق المنزّه ذمّ!

ـ وإنّ قولَه «لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَد» هو الوصفُ اللائقُ به، برغم أنّه هو الخالِقُ للوالِد والمولود.

ـ وكلُّ ما كان جسمًا الولادةُ صفةٌ له، وكلُّ ما يُولَد هو من هذا الجانب من النهر.

ـ ذلك لأنّه من عالَمِ الكون والفساد، فهو مَهين، ومن المحقّق أنّه حادثٌ ويقتضي مُحْدِثًا.

ـ [٣٧٣] فقال الرّاعي: «يا موسى، ختمتَ على فمي، وها أنتَ ذا قد أحرقتَ بالنَّدَم روحي».

ـ ومزّقَ ثيابَه، وتأوّه، ثمّ انطلق إلى الصّحراء مُسْرِعًا، ومضى.

ـ فجاء موسى الوحيُ من الله (قائلًا): «أبعدْتَ عنّي واحدًا من عبادي

ـ فهلْ أتيتَ لعَقْد أواصرِ الوَصْل، أو أنّك جئتَ لإيقاع الفِراق؟

ـ فما استطعْتَ لا تخطُ خطوةً نحو إيقاع الفِراق؛ فأبغضُ الحلالِ عندي هو الطّلاق.

ـ وقد وضعتُ لكلّ إنسانٍ سيرةً، ووهبتُ كلَّ رجلٍ مصطلحًا للتعبير،

ـ يكون في اعتباره مَدْحًا وفي اعتبارك أنتَ ذمًّا، في مذاقه شَهْدًا وفي مذاقِكَ أنتَ سُمًّا.

ـ إنّني مُنزَّهٌ عن كلّ طُهرٍ وتلوّث، وعن كلّ روح ثقلتْ (في عبادتي) أو خفّت.

ـ والتكليفُ من جانبي لم يكن لِربْحٍ أنشُده، بل لكي أُنعِمَ على العباد.

ـ وأهلُ الهند يُثنون عليّ باللّسان الهنديّ، وأهلُ السِّنْد يُثنون عليّ باللّسان السّنديّ.

ـ ولستُ أغدو طاهرًا بتسبيحهم، بل هم المتطهّرون بذلك، النّاثرون الدُّرَّ.

ـ ولَسْنا ننظرُ إلى اللّسان والقال، بل نحن ننظر إلى الباطن والحال.

ـ فنظرُنا إنّما هو إلى خشوع القلب، حتّى لو جاء اللّسانُ مجرَّدًا من الخشوع.

تعليقات:

يردُ هذا المقطعُ في طبعة نيكلسون في الجزء الثاني من المثنويّ، الأبيات: ١٧٢٠- ٥٩. وتتواصلُ القِصّةُ بعتاب الله تعالى أيضًا لموسى وانطلاق موسى بعدئذ إلى الصّحراء بحثًا عن الرّاعي. وعندما يدركه يخبره بأنّ اللّهَ سبحانه قد أذِن له بأن يُثني عليه بأيّة طريقةٍ يشتهيها قلبُه: فطقوسُ الثناء وطرائقُ التعبُّد ليست مهمّة. ويغدو واضحًا، في أيّة حال، أنّ معاناةَ الرّاعي بسبب لوم موسى إيّاه رفعتْه إلى المستوى اللّاحق من التطوّر الرّوحيّ. وهذه القصّةُ لم تكن جديدة عند الرّوميّ؛ بل لعلّه عدَّها من إحدى الرّوايات الواردة في العِقْد الفريد، أو شرح نهج البلاغة، أو عيون الأخبار، أو حِلية الأُولياء، أو مصدر آخر.

العبارتان: «إنّه ذاتي وأنا ذاته» و« مرضتُ فلَمْ تعدني» اللّتانِ جاءتا بين الأبيات مأخوذتان من حديثٍ نبويّ، أو قولٍ منسوبٍ إلى النّبيّ محمّد. فإنّه في يوم القيامة سيقولُ الحقُّ تعالى لعباده: «يا بنَ آدَم، مرضتُ فلَمْ تعدْني». وسيُجيب العبد: «لكنّه ليس لك جسمٌ، فكيف أقدِرُ على عِيادتك؟». فيقول له الحقّ إنّ عيادةَ المرضى من البشر هي على الحقيقة عيادةٌ للحقّ.

[٣٧٤] جملةُ « أبغضُ الحلالِ عندي هو الطّلاق» هي أيضًا حديثٌ نبويّ. «فاطمةُ» اسمٌ عربيّ للبنات، واسمُ ابنةِ النّبيّ محمّد [عليه الصّلاةُ والسّلام].

المقبوسُ الشعريّ ٣٠ تحدّثُ سليمانَ بلُغة الطّير

چون سليمان را سراپرده زدند ME 1: 1210-42

الوزن: ـ U ـ ـ | ـ U ـ ـ | ـ U ـ (الرَّمَل)

ـ حينما ضُرِبَ مخيَّمُ سليمان، مثلتْ أمامَه الطّيورُ طائعة.

ـ وقد وجدتْه متكلّمًا بلسانها، عارفًا أسرارَها، فهُرِع كلٌّ منها للمثول أمامه بروحه.

ـ وكلُّ هذه الطّيور تركتْ صفيرَها، وأصبحت أفصحَ من أخيك [الشّاعر] في حضرة سليمان.

ـ إنّ التّشاركَ في اللّسان قُربى ورباطٌ، والمرءُ مع مَنْ لا يفهمونه مِثْلُ السَّجين.

ـ وكم من هنديّ وتُركيّ يتكلّمان بلِسانٍ واحد، وكم من تركيَّينِ في لغتهما متباعدان.

ـ فلسانُ الوِفاق الرّوحيّ مختلفٌ عن (لسان القول)، وتشابهُ القلوبِ خيرٌ من تشابه الألسن.

ـ ففي القلب يقومُ آلافُ التّراجمة (بنَقْل أحاسيسه)، من دون نطقٍ ولا إيماءٍ ولا سجلّ.

ـ فجُملةُ الطّير، بكلّ ما وعاه كلٌّ منها من أسرار عن الفضائل والمعرفة والعمل، عرضت نفسَها على سليمان، وكلٌّ منها مَدَح نفسَه في معرض القول.

ـ وجاء دَورُ الهدهد وحِرْفته وبيان صنعته وتفكيره.

ـ فقال «أيُّها الملِكُ، سأذكرُ فضيلةً واحدةً، فضيلة صغيرة، ولكنّ الخير في الإيجاز».

ـ فقال سليمان: «تكلّم لنرى ما هذه الفضيلة». فقال الهدهدُ: «عندما أكون في أوج الارتفاع،

ـ أنظرُ من ذلك الأوج بعين اليقين، فأرى الماءَ في قاع الثّرى،

ـ أين مكانُه وما عمقُه وما لونُه، ومن أين يتفجّر، أمِنَ التّراب أم من الحجر.

ـ فخُذ معك في السَّفر ذلك العارفَ، يا سليمانُ، لاختيار موقع معسكرك».

ـ فقال سليمانُ: «ما أحسنَكَ من رفيق، في القِفار التي تخلو من الماء العميق!»

ـ [٣٧٥] وعندما سمع الغُرابُ (كلامَ الهدهد] جاء حاسدًا، وقال لسليمان: «ما هذا الكلامُ المعوجُّ القبيحُ؟

ـ إنّه ليس من الأدب التفاخرُ أمامَ الملوك، خاصّةً إذا كان ذلك من جُزافِ القول الكذبِ المُحال.

ـ فإذا كان للهدهد هذا النظرُ على الدّوام، فكيف لا يبصرُ الفخَّ تحتَ قبضةٍ من التّراب؟

ـ وكيف يقعُ في الشَّرَك؟ ـ وكيف يصير يائسًا في القفص؟»

ـ فقال سليمان: «أيّها الهدهدُ، أصحيحٌ أنّه قد أصابكَ (كلٌّ) هذا الدُّوار من أوّل قَدَح؟

ـ فيا مَنْ شربتَ اللبّنَ المخيض، كيف تتظاهرُ بالسُّكْر، وتُلقي أمامي بجُزاف القول وتكذب؟

ـ فقال الهدهدُ: «لا تستمعْ، بحقِّ الله، إلى قول العدوّ عنّي، أنا المسكينُ المُعْدِم!

ـ فإن لم يصحَّ هذا الذي أدّعيه، فإنّي أضعُ رأسي أمَامَك، فلتقطعْ عنقي هذا.

ـ إنّ الغُرابَ المنكِر لحُكْم القضاء كافرٌ، ولو كانت له آلافُ العقول!»

ـ إنّني أُبصِرُ الفَخّ من الفضاء، إذا لم يحجب القضاءُ عينَ عقلي».

ـ وحينما يأتي القضاءُ ينامُ العِلْم، ويغدو القمرُ أسود، ويحجب الشمسَ.

ـ فمتى كانت هذه التّعبئةُ نادرةً من القضاء؟ ـ اعلَمْ أنّ من القضاء أن يُنكر المرءُ القضاء!

تعليقات:

ترد القصّةُ في طبعة نيكلسون في المثنويّ الجزء ١: ٢٠٢١ ـ ٣٣.

المقبوسُ الشعريّ ٣١ الببّغاء والزّيت

بود بقّالى و وى را طوطيى ME 1: 248-66

الوزن: ـ U ـ ـ | ـ U ـ ـ | ـ U ـ (الرَّمَل)

ـ كان في سالف الزمان بقّالٌ، وكان له ببّغاء حسَنُ الصّوت، أخضرُ اللّون، متكلّم.

ـ كان هذا الببّغاءُ (يقف) على الدّكان حارسًا له، ويحدِّث التّجّارَ جميعًا بلطيف المقال.

ـ فقد كان ناطقًا في خطاب الآدميّين، كما كان حاذقًا في غناء الببغاوات.

ـ [٣٧٦] (وذاتَ مرّةٍ) قفز من ناحية الدّكان إلى ناحيةٍ أخرى، فأراق زجاجاتِ زيت الورد.

ـ وجاء صاحبُه من ناحية المنزل، وجلس في الدّكان فارغَ البال، كأنه من السّادة.

فرأى الدكّانَ قد غمره الزّيتُ، وثيابه لزجة، فضرب الببغاءَ على رأسه، فصار أقرع من الضّرب.

ـ وامتنع الببّغاءُ عن الكلام بضعة أيّام، فأصبح الرّجلُ البقّال يتأوّه من النَّدم.

ـ فكان ينتف شعرَ لحيته ويقول: «واأسفاهُ، إنّ شمسَ نعمتي أصبحت تحت السّحاب.

ليتَ يدي كانت قد كُسِرت في تلك اللحظة! كيف ضربتُ هذا الحُلْوَ اللّسان على رأسه؟»

ـ وجعلَ يعطي الهدايا لكلّ درويش لعلّه يستردّ نُطقَ طائره.

ـ وبعد ثلاثة أيّام من الحيرة والألَم، كان يجلس في الدّكان كأنّه يائس.

ـ وكان يُظهِر للطائر كلَّ لونٍ من العجائب، لعلّه يبدأ النّطقَ من جديد.

ـ (وفي تلك اللحظة) كان درويشٌ عاري الرّأس يمرّ، وكان رأسُه خاليًا من الشعر كأنّه ظهرُ طاسٍ أو طست.

فنطقَ الببّغاءُ في ذلك الوقت وصاح بالدّرويش: « يا فلان! لماذا اختلطتَ أيّها الأقرعُ بأمثالك من القُرْع؟ ـ لعلّكَ أرقتَ الزّيتَ من الزّجاجة».

ـ فأضحك قياسُه الخَلْق، إذ إنّه ظنّ نفسَه مِثْلَ صاحب الدَّلَق.

ـ فلا تتّخذْ من نفسك مقياسًا لأحوال الطّاهرين، حتّى لو تشابهت في الكتابة كلمةُ «شير» بمعنى أسد، و« شير» بمعنى لبن.

ـ ولهذا السّبب ضلّتْ جملةُ أهل العالَم؛ فإنّ قليلًا من الناس من يعرف أبدالَ الحقّ.

ـ فقد ادّعوا أنّهم مساوون للأنبياء، وظنّوا أنفسَهم مِثْلَ الأولياء.

تعليقات:

تردُ القصّةُ في طبعة نيكلسون في المثنويّ، الجزء ١: ١٤٧ ـ ٦٥.

[٣٧٧] الغزليّة ٣٢ دلا نزدِ كسى بنشين كه او از دل خبردارد D 563

الوزن: U ـ ـ ـ | U ـ ـ ـ | U ـ ـ ـ | U ـ ـ ـ (الهَزَج)

أيّها القلبُ، اجلِسْ عندَ إنسانٍ لديه عِلْمٌ بأحوال القلب،

وامضِ إلى تلك الشجرةِ التي تحمل أزهارًا نضِرة نديّة

وفي سوق العطّارين لا تذهبْ إلى كلّ ناحية مِثْلَ مَنْ ليس لديهم عَمَل،

بل اجلسْ في دكّان الشخص الذي لديه سُكّرٌ في دكّانه

وإذا لم يكن عندك ميزانٌ، فإنّ كلّ شخصٍ سينقص عليك مقدارًا مما تشتريه

ويمدّ لك عملةً زائفةً، وأنت تظنّ أنه ذهبٌ

يجيئك عند الباب بالثرثرة قائلًا إنه سيأتي

فلا تجلسْ منتظرًا عند الباب، فإنّ لتلك الدار بابين

لا تأتِ بصَحْفتِك إلى كلّ قِدْرٍ تغلي، ولا تجلسْ عندها منتظرًا

فإنّ كلَّ قِدْرٍ تغلي في داخلها شيءٌ مختلفٌ عن القدور الأُخَر

ليس كلُّ قصبةٍ تحتوي على السُّكّر، ولا كلُّ «تحت» له «فوق»

ولا كلُّ عينٍ تمتلكُ البَصرَ، ولا كلُّ بحرٍ يحتوي على الجوهر.

فنُحْ أيُّها البُلْبُل؛ لأنّ نواحَ الثَّمِلين والعاشقين

يترك أثرًا حتّى في الصَّخر والصَّوّان، يترك أثرًا

وتخلَّصْ من رأسِكَ إن لم تستطع الدّخولَ، فإنّ الخيطَ

لا يَلِجُ في سَمِّ الخِياط (ثقب الإبرة) عندما يكون له رأسٌ.

هذا القلبُ اليقِظُ سِراجٌ، فاجعَلْه تحت سِتارٍ

ومُرَّ بهذه الرياح وهذا الهواء، فإنّ في الهواء فتنةً له وشَرًّا.

فإذا تجاوزتَ الرّياحَ، صِرْتَ مقيمًا في النَّبْع

وصِرْتَ نديمًا وصفيًّا، يتدفّق منه الماءُ على الكبد

وعندما يكون ماؤك على الكبد، تكون مثْلَ شجرةٍ خضراء

تُثمر دائمًا فاكهةً جديدة، ولها سَفَرٌ داخلَ القلب

الغزَليّةُ ٣٣ اندك اندك جمعِ مستان مى رسند D 819

الوزن: ـ U ـ ـ | ـ U ـ ـ | ـ U ـ | (الرَّمَل)

دَفعةً دفعةً يَصِلُ جَمعُ الثَّمِلينَ دَفعةً دفعةً يَصِلُ مُدْمِنو الخَمر

[٣٧٨] يأتي أهلُ الحنانِ متبخترين يَصِلُ وَرْديُّو الوجوهِ من الرّوض

دَفعةً دَفعةً في عالَم الوجود والعَدَمِ هذا ذهبَ أهلُ العَدَمِ، ويصل أهلُ الوجود

كلُّ الجيوب تصلُ مليئةً بالذهب كالمنجم من أجل المُعْدِمينَ المفلسين

العِجافُ المنهَكون، من مرعى العِشْق يصلون سِمانًا أصحّاءَ

طاهرو الأرواحِ مثل شُعاع الشمس يصلون من الأعالي إلى الأسافل

فما أسعدَ ذلك البستانَ الذي من أجل أشباه مَرْيَم

يحملُ فواكهَ جديدة في الشّتاء

أصْلُهم اللّطفُ ويعودون إلى اللّطف ويصلون من البُستان إلى البُستان أيضًا

تعليقات:

هذه الغزليّةُ تستحضر صورةَ طقسٍ من طقوس تسليك المبتدئين في الطريق الصوفيّ، وقد يكون صيامًا أو خدمةً في المطبخ المولويّ. ويكون المبتدئون عادةً شبّانًا صِغارًا، تُسنَد إليهم وظيفةٌ شبيهةٌ بوظيفة الشّبّان اليونانيين الخُدّام في الزمان القديم Hellenistic ephebe.

الغَزَليّة ٣٤ سوى اطفال بيامد به كرم مادر روزه D 2375

الوزن: ـ U ـ ـ | U U ـ ـ | U U ـ ـ | U U ـ ـ (الرَّمَل المخبون)

جاءت أمُّ الصّيامِ إلى أطفالها تحمل الهدايا

فلا تدَعْ أيّها الطفلُ طرَفَ مُلاءةِ الصّيام

انظُرْ إلى وجهها الظّريف، واشربْ لَبَنَها اللّطيف

واجعَلْ مُقامَكَ هناك، الزَم بابَ الصّيام

[٣٧٩] انظُرْ إلى يَدِ الرّضا التي هي ربيعٌ عند الحَقّ

انظُرْ إلى جَنّة الرّوح التي امتلأت بالعَبْهَر

أيّها البُرْعُمُ المُدِلُّ، سواءٌ أكنتَ ضعيفًا أم قويًّا

اقفِزْ من دائرة الصّيام، كاللّاعبِ على الحَبْل في الرّبيع

أنتَ أيّها الوَرْدُ غريقٌ في الدّماء، فلماذا تكون خلياً من الهموم وضاحكًا؟

أم أنّك إسحاقُ الخليليُّ مبتهجًا بخِنْجَر الصّيام؟

لِمَ أنتَ عاشقٌ للخُبز، انظرْ إلى دنيا جديدة

خُذْ قمحَ الرّوح، من بَيْدَرِ الصِّيام

تعليقات:

چادر [وقد ترجمناها هنا بـ «مُلاءة»]، وهي حرفيًّا بمعنى «خَيْمة»، غطاءٌ تسترُ به النّساءُ في إيران شعرَهنّ وأجسامَهنّ في حضور الرّجال الذين لا يرتبطْن بهم برباط الدّم أو الزّواج.

الغزَليّة ٣٥ بربند دهان از نان كآمد شكر روزه **D 2307**

الوزن: ـ ـ U | U ـ ـ | ـ ـ U | U ـ ـ ـ | ـ ـ ـ | (هزج أخرب سالم)

أغلِقْ فَمَكَ عن الخبْز فقد جاء سُكَّرُ الصّيام

رأيتَ فضْلَ الأكْل، فانظُرْ إلى فضل الصّيام

ذلك الملِكُ الذي لديه مئتا دولةٍ، يضعُ التّاجَ على رأسك

فانتطقْ سريعًا، إذ جاء نطاقُ الصّيام

ومن هذا العالَمِ الشّبيه بسِجّين، طِرْ نحوَ عِلّيّين

وخذِ النّظَرَ المبصِرَ للحقّ، سريعًا من نَظَر الصّيام

أيّتُها الفضّةُ الجليلةُ القَدْر، أنتِ في الكُور في هذا الوقت

تخدُمُكِ النّارُ، في شرَرِ الصّيام

صار الصّيامُ النّداوةَ في ماء زمزم، وقد دَخَل في عيسى بن مريم

[٣٨٠] فطار إلى السماء الرّابعة، فهو في سَفَر الصّيام

أينَ طيرانُ الطّيور من جَناح الملَكِ، أيّها الرّوح؟!

هذا يقوّيه التقاطُ الحبوب، وذاك جناحُ الصّيام

فإن كان للصّيام ضررٌ، فإنّ له مئةَ لونٍ من النّفع

له نفعٌ مختلفٌ، إنّه نفعُ الصّيام

هذا الصّيامُ احتجبَ بهذه المُلاءة كالمعشوق

فتجاوزْ مُلاءته، واطلب الصّيام

[الصّيامُ] يضيّقُ الرَّقَبة، ويؤمِنُ من الموت

والتُّخَمةُ من آثار الأكل، والسُّكْرُ من آثار الصّيام

ثلاثونَ يومًا في هذا البحر، تجعلُ القَدَمَ رأسًا والرّأسَ قدَمًا،

إلى أن تصلَ، أيُّها المولى، إلى جوهر الصّيام

والشيطانُ بكلّ ما لديه من تدبير، ومن حِيَلٍ وتزوير

انكسر كلُّ سهمٍ لديه أمامَ تُرْسِ الصّيام

يتحدّثُ الصِّيامُ عن كَرّه وفَرّه أفضلَ منك

فأوصِدْ بابَ القول، وافتحْ باب الصّيام

فيا شمسَ الحقّ التّبريزيّ، أنتَ الصّبرُ وأنتَ الاستغناءُ أيضًا

أنتَ العيدُ الناثرُ للسُّكّر، وأنتَ أيضًا الكرُّ والفَرّ لدى الصيام

تعليقات:

زمزمُ هي البئرُ في المحيط المبارك للكعبة في مكّة، ويُقال إنّ إبراهيم [عليه السّلام] حفَرَها. ويعتقدُ الحُجّاجُ أنّ ماء زمزم مباركٌ ويتحلّى بخصائص علاجيّة. وفي شأن كلمة «چادر» [وقد ترجمناها هنا بـ «مُلاءة»]، انظر التعليق على الغزليّة ٣٤.

[٣٨١] الغزَليّة ٣٦ خُنُك آن دم كه نشينيم در إيوان من و تو D 2214

الوزن: U U – – | U U – – | U U – – | U U – (الرَّمَل المخبون)

ما أسعدَ اللحظةَ التي نجلسُ فيها في الشّرفة، أنا وأنتَ

في صورتَيْنِ ووجهَيْنِ وفي روحٍ واحدٍ، أنا وأنتَ

وحفيفُ البُستان وأنفاسُ الطّير تعطي ماءَ الحياة

في ذلك الوقت الذي ندخل فيه البستانَ، أنا وأنتَ

نجومُ السّماءِ تأتي لكي تنظرَ إلينا

فنُظهِرُ قمرَنا لها، أنا وأنتَ

أنا وأنتَ مِنْ دون «أنا» و«أنتَ» نكون مشترِكَيْنِ في الإحساس

مَسْرورَيْنِ ومتحرّرين من الأوهام المفرِّقة، أنا وأنت

وتغدو ببغاواتُ الفَلَك جميعًا قاضمةً للسُّكّر

في المقام الذي نضحك فيه على هذا النحو أنا وأنتَ

والأعجبُ أنّني أنا وأنتَ نجلس في زاويةٍ ههنا

وفي هذه اللّحظة نفسها نكون موجودَيْنِ في العراق وخُراسان، أنا وأنتَ

في صورةٍ واحدةٍ على هذه الأرض، وعلى تلك صورةٌ أخرى

في جَنّةِ الأبد في قَصْباء السُّكّر، أنا وأنت.

تعليقات:

أجواءُ العراقِ وخُراسان ربّما تشير إلى ألحانٍ موسيقيّة، قد تُصاحب إنشادَ الغزَليّة. وفي الوقت نفسه، قد يشير العراقُ إلى تَبْريز، مدينة شمس، الواقعة في غربيّ إيران، في الإقليم [٣٨٢] المعروف بـ «عراق العجم»، بينما كان الرّوميّ من شمال شرقيّ إيران الكبير، في الإقليم المعروف بـ «خراسان».

الغزليّة ٣٧ در هوايت بى قرارم روز وشب **D 302**

الوزن: ـ U ـ ـ | ـ U ـ ـ | ـ U ـ | (الرَّمَل)

أنا في هواكَ قَلِقٌ مضطربٌ نهارًا وليلًا

لا أرفعُ رأسي عن قَدَمك نهارًا وليلًا

سأجعلُ النهارَ والليلَ مِثْلِيَ مجنونَيْنِ

فأنّى لي أن أتركَ النهارَ والليلَ نهارًا وليلًا؟

وقد طلَبَا من العُشّاق روحًا وقلبًا جادَّيْنِ

فها أنَذَا أقدِّم الرّوحَ والقلبَ نهارًا وليلًا

وما لَمْ أظفَرْ بما هو في دماغي

فلن يقرّ لي قرارٌ لحظةً واحدة

ومنذ أن بدأ عشقُك الطَّرَبَ

وأنا كالصَّنج حينًا وكالتّار حينًا(*)، نهارًا وليلًا

تعزفُ أنتَ عليّ فينطلق

إلى عَنانِ السّماء صوتي الحزينُ الخفيضُ نهارًا وليلًا

وقد سقيتَ البَشَرَ أربعين صَبوحًا

ومن تلك الخمرة أنا في خُمارٍ(**) نهارًا وليلًا

فيا مَنْ مِهارُ(***) العاشقين في قبضتك

أنا في عِداد هذا القِطار، نهارًا وليلًا

أحمِلُ حِمْلَكَ ثَمِلًا غيرَ آبهٍ

فأنا تحت وطأةِ حِمْلِكَ كالجمَل نهارًا وليلًا

وما لَمْ أُفطِرْ من صيامي على سُكّرك

فسأظلُّ صائمًا إلى يوم القيامة نهارًا وليلًا

[٣٨٣] وعندما أُفطِرُ بعد صيامي على مائدة الفضل

يكون زماني عِيدًا نهارًا وليلًا

فيا مَنْ روحُكَ هو روحُ النّهار وروحُ اللّيل

أنا في انتظارك، في انتظارك، نهارًا وليلًا

ولكي لا يقتصرَ العيدُ عندي على مرّة واحدة في العام

* ـ الصَّنجُ والتّار آلتان موسيقيتان إيرانيتان [المترجم]

** ـ ألَمُ الخمرة أو صُداعها أو ما خالط من سُكْرها [المترجم].

*** ـ المِهارُ: عودٌ يُجعل في أنف الجَمَل لينقاد. والقطارُ: الإبل التي يتبع بعضُها بعضًا.

أنا مع قَمَرِك كمَنْ هو في العيد نهارًا وليلًا

ومنذ تلك اللّيلة التي وعدْتَني فيها بيوم الوَصْل

أعدُّ النهارَ والليلَ، نهارًا وليلًا

وقد عَطِش حقْلُ روحي وجفّ

لأنّني أُفيضُ الدّمع من سحاب عيني نهارًا وليلًا

تعليقات:

أدفعُ الليلَ والنهارَ إلى الجنون [العبارةُ التي ترجمناها نحن هكذا: فأنَى لي أن أترك النهارَ والليلَ نهارًا وليلًا؟] تعني أجعلُهما مِثْلَ المجنون، عاشق ليلى المشهور، الذي ينحلُ جسمُه في حُبّه لها، فيُنشِد الأشعارَ في الصّحراء نهارًا وليلًا لمن صَحِبهم من الحيوانات (يعني اسمُه حَرْفيًّا «المجنون»، لكنّه مثالٌ لضَنى العِشْق).

الغزليّة ٣٨ چو آفتاب برآمد زقعر آبِ سياه D 2408

الوزن: U ـ U ـ | U U ـ ـ | U ـ U ـ | U U ـ (المجتثّ)

عندما تطلعُ الشمسُ من قَعْرِ الماء الأسْود

اسمَعْ من كلّ ذرّةٍ نداءَ لا إلهَ إلّا الله

[٣٨٤] وما الذّرّةُ؟ ـ إنّه إذا طلعت شمسُ الرّوح

يُختطَفُ من الشّمسِ نفسِها قَباؤها وقلنسوتُها

إذا طلعَ قمرُ القلبِ من الماء والطّين مِثْل آدم

غربتْ مئةُ شمسٍ في غَيابة الجُبّ مثلَ يوسُف

ارفعْ رأسَكَ من التّراب، فلستَ أقلّ شأنًا من النّملة

واحمِلِ الأخبارَ للنَّمْل عن الحقول والبيادر

وإنّما تقنعُ بحَبَّةٍ مُهترئةٍ تلك النّملةُ

التي لا عِلْمَ عندها عن سُنْبُلنا الأخضر

وقُلْ للنّملة: «هناكَ ربيعٌ ولديكِ يَدٌ وقَدَم

فلماذا لا تشقّين طريقَك إلى مروج الصّحراء؟»

وما النّملةُ؟ إنّ سليمانَ نفسَه شقَّ رداءَ الشوق

فلا تَقِفْني، يا ربُّ، عند هذه الأمثلة الفاسدة

ولكنّه على قَدْرِ قامةِ المشتري يُفصَّل القَباءُ

وبرغم أنّ الرّداءَ طويلٌ، هناك قامةٌ قصيرة

فهاتِ قَدًّا طويلًا لكي نُفصّل

قَباءً يعانق طولُه القمرَ الجميل

وقد صَمَتُّ من هذه اللحظة؛ لأنّه من صمتي

انفصلَ الحقّ عن الباطل، مثلما انفصلَ الحَبُّ عن القَشّ

الغزليّة ٣٩ اي قومِ به حج رفته كجاييد؟ ـ كجاييد D 648

الوزن: ـ ـ U | U ـ ـ U | U ـ ـ U | U ـ ـ U ـ ـ (الهزج الأخرب المكفوف)

أيّها القومُ الذين ذهبتُم إلى الحجّ، أين أنتُم أين أنتُم؟

المعشوقُ ههنا، فتعالَوا، تعالَوا

إنّ معشوقكم هو جارُكم بيتَ بيتٍ

فلماذا تطوفون في الصّحاري وتقطعون الفيافي والقفار؟

[٣٨٥] لو نظرتُم إلى وجه المعشوق الذي لا صورةَ له

لكُنتُم أنتم سيِّدَ البيت والبيتَ نفسَه والكعبةَ نفسَها

وها قد ذهبتُم عشرَ مرّاتٍ بذلك الطريق إلى ذلك البيت

فاصعدوا مرّةً واحدةً من هذا البيت على السَّطْح

ذلك البيتُ لطيفٌ، وقد ذكرتُم علاماته

فأظهِروا لرَبّ ذلك البيت علامةً

فإن كنتُم رأيتُم ذلك البُستانَ فهَلْ لديكم باقةُ وَرْدٍ واحدةٌ منه؟

وإن كنتُم من بَحْر الحقّ فهَلْ لديكم جوهرةٌ واحدة من جواهر الرّوح؟

وبرغم ذلك ليتَ العَناءَ الذي تَلْقَونه يكون كنزًا لكم

لكنْ وا أسفاه، إنّ أنفسَكم حجابٌ فوق كنزكم

تعليقات:

هذه الغَزَليّةُ منظومةٌ في صورة خطابٍ للمسلمين على الطّريق الطويل إلى الحجّ في مكّة والمدينة [كذا]. ففي مكّة يطوفُ الحجّاجُ حولَ الكعبة، وهي بناء مربّعٌ استُعمل بيتًا لأصنامِ القبائل العربية قبْلَ الإسلام، أمّا الآنَ فيُسمّى «بيت الله».

الغزَليّة ٤٠ حيلت رهاكن عاشقا، ديوانه شو، ديوانه شو **D2131**

الوزن ـ ـ U ـ | ـ ـ U ـ | ـ ـ U ـ | ـ ـ U ـ (الرّجَز)

دَعِ الحِيَلَ والمكائد، أيّها العاشقُ، وكنْ مجنونًا، كنْ مجنونا

وادخُلْ في قلب النّار، صِرْ كالفَراشة، صِرْ كالفَراشة

اجعَلْ نفسَكَ غريبًا، وخرِّبْ بيتَك

وعندئذٍ تعالَ ، واسكنْ مع العاشقين، اسكنْ مع العاشقين

[٣٨٦] امضِ، واغسِلْ صدرَك من الأحقاد بالماء سَبْعَ مرّات كالصّحون

وعندئذٍ صِرْ كأسًا لشراب العشق، صِرْ كأسًا

لابدّ أن يغدو كيانُك كلُّه روحًا، لكي تصبح لائقًا بإخوة الرّوح

وإذا ذهبتَ إلى الثَّمِلين صِرْ ثمِلًا، صِرْ ثَمِلًا

إنّ قُرْطَ الحِسانِ صاحَبَ العارِضَ [صفحة الخَدّ]

ولابدّ لكَ من تلك الأُذُنِ وذلك العارض، صِرْ لؤلؤةً، صِرْ لؤلؤة

فإذا طار روحُك في الهواء من حكايتِنا الجميلة

فأفنِ نفسَك، وصِرْ أسطورةً كالعُشّاق، صِرْ أسطورة

أنتَ الآنَ ليلةُ القَبْر، فاذهبْ وتحوّل إلى ليلة القَدْر

ولأنّ القدْرَ يسكن في الأرواح، كُنْ عُشًّا له، كُنْ بيتًا له

يمضي تفكيرُك إلى مكانٍ، وعندئذ يمضي بك إلى ذلك المكان

فدَعِ التفكير، وكنْ مِقْدامًا كالقضاء، كُنْ قائدا

إنّ الميولَ والأهواءَ أقفالٌ موضوعةٌ على قلوبنا

فصِرْ أنتَ مفتاحًا، صِرْ أسنانًا للمفتاح، صِرْ أسنانًا للمفتاح

فقد داعبَ نورُ المصطفى ذلك الجِذْعَ الحنّان

فلا تكنْ أقلَّ شأنًا من عُودٍ، صِرْ حَنّانًا، صِرْ حَنّانًا

يقولُ لكَ سليمانُ: «استمعْ إلى لسانِ الطّير

أنتَ الآن فَخٌّ، وتهابُك الطيرُ، فامضِ وصِرْ عُشًّا لها، صِرْ عُشًّا»

وإنْ أظهر لك المعشوقُ الفتّانُ وجهَهُ، فامتلئْ منه كالمِرآة

وإنْ نثرَ لك طُرّتَه، فامضِ وصِرْ مُشطًا لها، امضِ صِرْ مُشطًا

إلى متى تظلُّ ذا رأسَيْن مِثْلَ الرُّخّ؟ ـ إلى متى تظلُّ خادمًا كالبيدق؟

إلى متى تمضي معوجًّا كوزير الشَّطْرنج؟ ـ صِرْ حكيمًا، صِرْ حكيما

أعطيتَ العشقَ التّحفَ والهدايا شُكْرًا واعترافًا بالجميل

فاترك المالَ، وابذُل روحَك، صِرْ شُكرًا، صِرْ اعترافا بالجميل

كنتَ مدّةً مادّةً، وكنتَ مدّةً حيوانًا

أما وقدْ صِرْتَ روحًا مدّةً، فصِرْ روحًا كاملًا، صِرْ معشوقًا

أيّتُها النفسُ الناطقةُ، إلى متى تذهبين إلى السّطح وإلى الباب؟ ـ طيري وادخلي البيتَ

دَعي نُطقَ اللّسان، كوني من دون فَكّ، كوني من دون فكّ

تعليقات:

«ليلةُ القَدْر» تُشير إلى سورة القَدْر في القرآن (K 97: 1-5)، التي يُعتقد في التقليد الإسلاميّ أنّها اللّيلةُ التي أُنزلَ فيها التّنزيلُ على محمّد [عليه الصّلاة والسّلام] ويُحتفى بذكراها في الأسبوع الأخير من رمضان. ويقول القرآنُ إنّ الملائكةَ والرّوحَ تتنزّل فيها لتبارك كلَّ سَعْي في هذه اللّيلة. «المصطفى» أحدُ أسماء محمّد. ووفقًا لما جاء في الرّوايات أنّ الرّسولَ كان يستند إلى جذع شجرة في المسجد في المدينة عندما كان يخطب. وعندما أُنشئ مِنْبرٌ، كان هذا الجذعُ يحِنّ ومن هنا صار معروفًا بالجِذْع الحَنّان (أُستُنِ حنانه ـ بالفارسيّة، وتعني حَرْفيًّا «الجِذْع الحَنّان»)، الذي، برغم كونه جمادًا، حَنّ إلى أن يكون في حضرة النّبيّ. وقد أعطى الحقُّ تعالى سليمانَ، خليفةَ داوود، نِعمةَ فَهْم مَنْطِق الطّير (K 27: 16ff).

الغَزَلِيّة ٤١ سيبكى نيم سرخ ونيمى زرد D968

الوزن: ـ U ـ ـ U ـ U l ـ U ـ U l U U ـ (الخفيف)

[٣٨٨] تفّاحةٌ صغيرة نصفُها أحمرُ ونصفُها أصفر

تروي حكايةً عن الورد والزّعفران:

إذا انفصلَ العاشقُ عن المعشوق

تدلّل المعشوقُ وتألّم العاشق

أظهرَ العشقُ هذَيْنِ اللّونين المتضادّين

من هَجْرٍ واحدٍ على خدّ كلّ منهما

وليس لائقًا أن يكون خدُّ المعشوق أصفرَ

والحُمْرةُ والسِّمَنُ باردان على خدّ العاشق

وإذا بدأ المعشوقُ بالدَّلال

فلاطفْه، أيّها العاشقُ، لا تقاتِلْه

أنا كالشّوكِ، سيّدي كالوَرْد

فهما اثنانِ، في الحقيقة فَرْد

إنّه الشمسُ، إنّني كالظّلّ

منه حَرُّ البقا، ومِنّي البَرْد

إنّ جالُوتَ بارزَ الطّالوت

إنّ داوودَ قدَّروا في السَّرْد

القَلْبُ وُلِدَ من الجسم، لكنّه مَلِكُ الجسم

مثلما يَلِدُ الرّجلُ من المرأة

لكنّ في القَلْب قلْبًا آخر متواريًا

مثلما توارى فارسٌ بحجاب الغُبار

وإنّ حركةَ الغبار من الفارس

فهو الذي أرقصَ الغبار

وليس الأمرُ مِثْلَ الشّطرنج لكي تفكّر

بل توكّلْ وألْقِ حجَرَتَك، مثلما يكون الأمرُ في النَّرْد

إنّ شمس تَبْرِيز هو شمسُ القَلْب

وكلُّ فواكهِ القَلْب تنمو من حرارته وتنضَج

تعليقات:

[٣٨٩] المظهرُ العامّ للعاشق ينبغي أن يكون شاحبًا، ذلك لأنّه يعاني في عِشْقه؛ أمّا معشوقُه فخِلْوٌ من الهموم، لأنّ في مقدوره أن يتصرّف من دون العاشق. ولهذا السّبب يكون خدّاه أحمَرَيْنِ وناضِرَيْن؛ ولا يمكن الأمرَ إلّا أن يكون كذلك. وبرغم ذلك، هذه المعاناةُ لدى العاشق لها هدفٌ نهائيّ وما على العاشق إلّا أن يُذعن له. الأبياتُ القليلة اللاحقة (أنا كالشّوْكِ... قدّروا في السَّرْد) جاءت باللغة العربيّة. المقبوسُ من القرآن يشير إلى قصّة طالوت وقِتال داوود لجالوت. ويقولُ القرآنُ إنّ الحقّ تعالى عَلّم داوودَ كيف يصنعُ دروعَه لكي يُحرز النّصر. ولأنّ طالوت أحرز انتصاره بفضل داوود، لكنّ الحسَدَ دخَلَ قلبه نتيجةً لذلك (قارن بالتّوارة، ١، ساموئل ١٧)، يبدو هذا المقطعُ يواصلُ شَرْح اتّحاد العاشق والمعشوق، برغم ثُنائيّتهما الظّاهرة. ويبدو أنّ الغزَلِيّة تأتي تاريخيًّا من المرحلة التي أعقبت الاختفاءَ الأخير لشمس،

عندما أدرك الرّوميُّ أنّ شمسًا أصبح جزءًا من نفسه. الإشارةُ إلى التوكّل، تعني طبعًا التوكُّل على الله. والصورةُ فَكِهةٌ، برغم ذلك، بسبب عدم انسجام أن يكون مُسْلِمٌ وَرِعٌ مُقامِرًا.

الغزَليّة ٤٢ من بى خود وتو بى خود، ما را كه برد خانه؟ **D2309**

الوزن: ـ ـU|U ـ ـ ـ |ـ ـU|U ـ ـ ـ ـ (هَزَج أخرب سالم)

أنا ذاهِلٌ عن نفسي وأنتَ ذاهلٌ عن نفسك، فمن الذي يوصلُنا إلى البيت؟

وكثيرًا ما قلتُ لك قلِّلْ من الشّراب، اكتفِ بكأسَيْن أو ثلاث

ولستُ أرى في المدينة شخصًا واحدًا صاحيًا

وكلٌّ منهم أسوأُ من الآخر، مُذْهَبٌ ومجنون

فيا أيّها الرّوحُ، تعالَ إلى الحانات، لكي ترى لذّة الحياة،

فأيُّ سرورٍ للرّوح من دون صحبة المعشوق؟

في كلّ زاويةٍ ثَمِلٌ، يدُه بيد كأس الشراب،

وهناك السّاقي لكلّ وجود، يحمل كأسَه الملكيّة

[٣٩٠] أنتَ وقْفٌ للحانات، فدَخْلُك خَمْرٌ وخَرْجُك خَمْرٌ

فلا تُسلِّمْ حَبّةً واحدةً من هذا الوَقْفِ للصُّحاة العُقلاء

أَيْ فتى الحيّ، اعزفْ على عُودِك، أأنتَ أكثرُ سُكْرًا أَمْ أنا؟

يا مَنْ أمامَ ثَمِلٍ مِثْلِك، بطَلَ سِحْري وغدا خُرافَةً

خرجتُ من البيت، فتقدَّمَ إليَّ ثَمِلٌ

في كلِّ نَظْرةٍ من نظراته أُضمِرَ مئةُ رَوْضٍ وعُشٍّ للطّير

يترنّحُ يَمْنةً ويَسْرةً مِثْلَ سفينةٍ لا مِرْسَاةَ لها

ومن حَسْرتِه ماتَ مئةُ عاقِلٍ وحكيم

قلتُ له: «مِنْ أينَ أنتَ؟» فَسخِرَ وقال: «أيُّها الرّوحُ،

نِصْفي من تُركستان، ونصفي الآخَر من فَرغانة

نصفي من ماءٍ وطينٍ، ونصفي من روحٍ وقَلْب

نصفي شاطئُ البحر، ونصفي الآخَر لؤلؤٌ ثمين»

قلتُ: «كُنْ صاحبًا لي، فإنّني من أقاربك»

قال: «لا أعرفُ أنا القريبَ من الغريب»

أنا من دون قَلْبٍ ومن دون عِمامة، في بيت خمّار

ولديّ صدرٌ مليءٌ بالكلام، أأشرحُه أم لا؟

في حَلْقة العُرْجان، لابدّ من تعلُّم العَرَج

أَلَمْ تتشرَّبْ هذه النّصيحةَ من سيِّد الحكمة

ما أجملَكَ مِنْ سَكِر، إلى متى تظلُّ أَقَلَّ شأنًا من عودٍ خشبيّ؟

أَلَمْ يصدر النّواحُ أخيرًا عن الجِذْع الحَنّان؟

[٣٩١] أيْ شمسَ الحقِّ التّبْريزيّ، لماذا تجنّبتَ الخَلْقَ؟

الآنَ وقد ألقيتَ مئةَ فِتْنةٍ فتّانة

تعليقات:

«الوقْفُ» عبارةٌ عن مَنْحٍ خَيْريّ يُقدَّم على نحوٍ مستمرّ لدَفْع نفقات مسجدٍ أو مدرسةٍ أو زاوية صوفيّة. ومن هنا، الشّخصيّةُ المخاطَبةُ هنا لها موقعٌ مدفوعُ الثّمن مستمرٌّ في الحانة [خرابات ـ بالفارسيّة]، وهو مكانٌ ذو سمعةٍ سيّئة في المجتمع، باستثناء ما عليه الحالُ بين جمهرة الصوفيّة حيث هو رمزٌ للفهم

الصوفيّ للدّين. والعلماءُ الحُكماءُ واليقظون يكادون يموتون، إمّا لأنّهم يَرْثون لحاله، وإمّا لأنّهم يقعون في محبّته، وإمّا للأَمْرَين معًا. وفَرْغانة عندئذ مِنطقةٌ متحدّثةٌ بالفارسيّة على تخوم سير داريا [اسم نهر في آسية الصّغرى]. وفي شأن «الجِذْع الحنّان» انظر التعليقات على الغَزَليّة٤٠.

الرُّباعيات:

المنظومة ٤٣ رُباعيّة. الرّباعيّة ١٠٣٥ في ديوان شمس DR 1035

اللّيلةَ الماضيةَ قلتُ لشيخٍ حكيمٍ في السِّرّ:

«لا تسترْ عنيّ حديثَ سِرّ العالَم»

فهمسَ في أُذني برقّةٍ ودمائة:

«هذا شيءٌ يمكن رؤيتُه، ولا يمكنُ قولُه، فاصمُتْ!»

المنظومة ٤٤ رُباعيّة. DR 1716

كنتُ زاهِدًا، فجعلْتَني أُنشِدُ الأشعار

جعلْتَني رأسَ فتنة المأدُبة وباحثًا عن الخمرة

رأيتَني جليسَ سجّادة ذا وقارٍ ومهابة

فجعلتَني لعبةً لأطفال الحيّ

المنظومة ٤٥ رُباعيّة DR993

قلتُ لقلبي: « لا تكنْ أكثرَ من الآخرين

امضِ، كُنْ مَرْهَمَ لُطف، لا تكن كالمِنْخَز

إنْ شئتَ ألّا يأتيكَ أذًى من أحَد

فلا تكن سيّئَ القول ولا سيّئَ الفِعْل ولا سيّئَ التفكير

[٣٩٢] المنظومة ٤٦ رباعيّة DR 81

اليومَ، مِثْل أيّ يوم، نحن ثمِلونَ، ثَمِلون

فلا تفتحْ بابَ الفِكْر، وأمسِكْ بالرّباب

إنّ مئةَ لونٍ من الصّلاةِ والرّكوعِ والسّجود

مُعدّةٌ لِمَنْ يكونُ جمالُ الحبيب له محرابا

المنظومة ٤٧ رُباعيّة DR 1652

ملأتَ روحي بطرَبٍ كالسُّكَّر جعلتَني في السُّكْر، مِثْلَ ورَق الوَرْد

اليومَ يحيطُ بي الضّحكُ فأيَّ ضحكاتٍ جعلْتَ في فمي!

المنظومة ٤٨ رُباعيّة DR 1042

الجوهرُ فَقْرٌ، وسوى الفَقْر عرَض الفَقْرُ شفاءٌ، وسوى الفَقْر مَرَض

العالَمُ كلُّه خداعٌ وغُرور والفقْرُ من العالَم كنزٌ وغَرَض

المنظومة ٤٩ رُباعيّة DR 1067

عندما غدتْ طينةُ جِسْم آدمَ مستعدّة

امتزجَ الجوهرُ الخالصُ بالتّراب

وعندما كَسرتِ الأفلاكُ ذلك الجسمَ الطينيّ

ذهب التّرابُ إلى التّراب والخالصُ إلى الخالص

المنظومة ٥٠ رُباعيّة DR 1293

أحرقْنا العملَ والدّكانَ والحِرْفة

وتعلّمْنا الشِّعرَ والغزلَ والدُّوبيت

وفي العشق، الذي هو روحُنا وقلبُنا وعينُنا،

أحرقْنا الرّوحَ والقلبَ والعينَ جميعًا

تعليقات:

الرّباعيُّ نوعٌ أدبيٌّ موضوعيٌّ، إذ يبيّنُ البيتُ الأخير فيه المقصودَ الأصليّ، أمّا موضوعُه فيمكن أن يكون جادًّا أو ساخرًا [٣٩٣]. ولأنّ الرّباعيّات شكلٌ شعريٌّ مُحكَمٌ وموجَزٌ، شعرتُ بأنّها ينبغي أن تُقيَّد بصورة وَزْنيّة من نوع ما. ويتنوّع وزنُ الرُّباعيّ الفارسيّ وفقًا للنمطين الأساسيين الآتيين:

ـ ـ UU ـ U ـ U ـ ـ UU ـ أو ـ ـ UU ـ ـ UU ـ ـ UU ـ.

تتضمّن المنظومةُ ٤٣ الكلمةَ المقابلة لـ «الصَّمْت» (خموش/خاموش ـ بالفارسيّة)، التي تردُ كثيرًا في غزليّات الرّوميّ في صورة مذكّرٍ بأنّ حقائق التصوّف لا يمكن قولُها، أو تحقّقٍ من ذلك. الرّبابُ في المنظومة ٤٦ آلةٌ وتَريّة يُقال إنّ الرّوميَّ نفسَه عزفَ عليها. الرّباعيّاتُ المرقّمةُ هنا تأخذ التّرقيمَ الذي جاء في الجزء الثامن من طبعة فروزانفر الأولى لـ «كلّيات شمس» أو «الدّيوان الكبير» (جامعة طهران، ١٣٤٢ هش/ ١٩٦٣م). ومن بين الرّباعيّاتِ الألفِ والتّسعِ مئةٍ والثلاث والثمانين التي نشرها فروزانفر، نُسِبَ عددٌ كبير في كُتُب أُخَر إلى شعراء سابقين للرّوميّ، ولا ينتمي على الحقيقة إلى الرّوميّ، برغم أنّه موجودٌ في أقدم مخطوطات «ديوان» الرّوميّ. وقد أُعيدت

طباعةُ رُباعيّات الرّوميّ مرّاتٍ كثيرة في طبعات شعبيّة لديوان شمس تَبْريز، وكثيرٌ من هذه الطبعات يلتزم مَتْنَ فروزانفر في المقام الأوّل، لكنّه يختلف عن طبعته في شأن الرّباعيّات. ويبدو أنّ مصدرَ الرّباعيات في معظم هذه الطبعات الشعبيّة هو المجلّدُ المنفصل الذي نشره محمّد باقر أُلْفت في أصفهان في عام ١٩٤١م (انظر ص ٣٠٣). وتحتوي طبعةُ أصفهان، التي هي غيرُ معتمِدةٍ على أقدم المخطوطات، على ١٩٩٥ رُباعيّة، ولا يطابق الترقيمُ المعتمدُ فيها ترقيمَ طبعة فروزانفر. وهذه الطبعاتُ المستمَدّة من نصّ أصفهان أقلُّ موثوقيّةً، لكنّها كانت المصدرَ لكثير من المترجمين الذين تعاملوا مع الرّوميّ، ابتداءً من آربري واستمرارًا مع شيفا وآخرين. وأشكر إبراهيم گمار (Gamard) الذي كانت تعليقاتُه وكتابُه الذي لم يُنشَر حتى الآن Concordance of Translations and Versions of Rumi's Quatrains قيّمةً جدًّا في حلّ النّكات والمسائل النّصّيّة لرُباعيات الرّوميّ.